المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السادس عشر بعد المئة

١ ابريل سنة ١٩٥٠ ١٣ جادى الثانية سنة ١٣٦٩

الجن

لعلّك تنتظر مني أن أقصّ عليك حديثِ الجنّ . لا والله ليس للجن حساب عندي . ولا للشياطين، حتى ولا للأرواح . وإنما أحدثك عن الجن وهم أهلي وأهلك وأهل بيتنا . فأنبياء هذا الزمان من أهل العلم يقولون أن الجن كلمة يونانية أو لاتينية . ومنها اشتقوا الفعل الذي يعني الخلق Generate . وهم يعنون بهذا الاسم الجريثيمة (تصغير جرثومة) التي يوجد منها في الحويصلة المنوية الذكرية أو البويضة الأنثوية ٢٥٠٠٠ وحدة . ووظيفة هذه الجريثيمات نقل صفات الوالدين الجسدية ، والعقلية ، والخلقية الى المواليد . فما لك من قوّة عقلية ، ومزاج جسماني ، وخلال عقلية ، انتقل إليك من والديك بواسطة هذه الجن Genes التي التحمت في اثناء اللقاح في البويضة أو في ما يشابهها في النباتة ، وجعلت تنمو بالتضاعف، فتكوّن منها الجنين ونما حتى نضج وصار إنساناً أو حيواناً أو نباتاً.

وسواءٌ في الحويصلة أو البويضة في كل منهما مجموعة جريثيمات تسمى كروموسوم يتراوح عددها بحسب أجناس الأحياء أو أنواعها بين ١٢ وما فوق ، أو ما تحت . وكل واحدةٍ منها تحتوي على مئات من جريثيمات الجن التي تحمل طباع الحي وخصاله المادية . وباتحاد الكروموسومات من الجانبين الذكر والأنثى تتحدد أيضاً الجريثيمات من الجانبين . ويتكوّن الجنين حاملاً طباع الطرفين ومزاياهما وخصالهما . هذه هي نظرية الوراثة الطبيعية التي كاد يتفق عليها علماء هذا العصر . وما ابتعدوا عن نظرية داروِن كثيراً فهو قد خمن أن في الجرثومة الملقحة بذيرات عديدة من الجانبين تحمل خصالهما . وقد سماها جميول Jammuls وهي متسربة من جميع أعضاء الجسم الى الخليـة التناسلية لـكي تكوّن نوى تلك الأعضاء . كل جميول يكوّن نواة العضو الذي يمثل أصله . في المقـال التالي بحث مستفيض في هذا الموضوع للسير ارثر كيث وهو الثقة فيه . فادرسه .

مصنع التطور

واداة الوراثة الطبيعية

في رأي معظم الأنثروبولوجيين (علماء التاريخ الطبيعي للأجناس البشرية) انه بعد الدور الذي سبق الانسان، أي دور أشباه الانسان، ظهر تسعة أصناف من البشر في عصور مختلفة لا تتجاوز مليون سنة ، كان أقدمهم الإنسان الذي سموه بلتدون . وقد انقرضت سلالته ، وإنسان كارتان ومنه سلالة الأفريقيين ، والانسان بيثا كانتروبوس ومنه الانسان الأوسترالي ، وسيننثروبوس ومنه السلالات الصينية . وانسان جبل الكرمل وقد انقرض، وانسان روديسيا ، ومنه سلالة أفريقية أخرى ، وإنسان نيندرسال ، ومنه انسان أوروبا وقد انقرض ، وكرماجنون ، وانسان أكمة جالي ، ومنه السلالات القوقاسية، وهذا لا يتجاوز تاريخه ١٨ ألف سنة . وجميع هذه السلالات تسلسلت من نوع من أشباه الانسان الذي كان يعيش على الشجر. وكان أشباه الانسان الآخرون يمتون بصلة إليه : وهؤلاء نشأوا منذ سبعة ملايين سنة الى ١٢ مليون

أهم الآثار وأكثرها هي بقايا إنسان سننثروبوس اكتشفوها في بعض المغاور في الصين، عاش في بدء العصر بلستوسن الجيولوجي ويسمى العصر الأحدث ، ويقال أنه العصر الجليدي الأخير . هناك نشأ الناس منذ ٦٠٠٠٠٠ سنة . وحدث أنه في ذلك العهد امتلأت سلسلة من الكهوف الجيرية من الصلصال اندفنت فيها بقايا أناس معروفين في اصطلاع علماء التاريخ الطبيعي باسم سيننثروبوس . كانوا أناساً عليهم سمات بعض أشباه الإنسان: حواجب بارزة ثخينة ، وجباه متقهقرة ، وجماجم ذات سطوح منخفضة ، نبشت منهم بقايا ٣٨ شخصاً . منهم ١٥ شخصاً كانوا دون الأربع عشرة سنة من العمر، وواحد منهم فقط كان فوق الخمسين .

هذه الأرقام تدل على قائمة كبيرة لطباع مختلفة . وقد لاحظ الأستاذ ڤالواز أن ذلك الانسان القديم عاش أقصر عمراً من انسان اليوم . وقد قارن به عمر الانسان النندرثالي الذي ظهر بعد عصر الانسان الصيني الذي نحن بصدده . فوجد أن ٤٠ بالمئة منهم ماتوا تحت سن الحادية عشر ، وخمسة بالمئة فقط عاشوا فوق الأربعين .

يقول السير ارثر كيث: لذلك أنا أتوقع أن في هذه المجموعة من أناسي سينثروبوس البالغة مئة نفر يكون العمر فيها منخفضاً، ليس معدله دون العشرين سنة. ولتسهيل الحساب دعنا نقدر لأفراد هذه المجموعة جميع درجات العمر، نصفهم ذكور، والنصف الآخر أناث. ولنفرض ان هذه المجموعة تحتاج الى بقعة من الأرض لكي تعيش فيها، سعتها ٢٠٠ ميل مربع. ولكي يعيش الانسان البدائي في فصل من السنة في مكان وفي فصل آخر في مكان آخر، فقدر لكل فرد ميلين مربعين. ويجب أن نفرض أيضاً أن هؤلاء البشر البدائيين كانوا أضداداً يعني فرقاً متضادة حسب طبيعة الناس الأوائل. وهذا يستلزم أن يكون بينهم فواصل يلزمون حدودها ويحافظون عليها.

دعنا نخمن أن الموت ينتاب عشرة أنفار من مجموعتنا كل سنة وإنه يولد عشرة أطفال في السنة في مقابل هؤلاء الموتى. ولكي يمكننا إن ندعي هذه النتيجة يجب أن نلاحظ توزيع العمر على الخمسين فرداً من أطفال بناتاً ونساء يتألف منهم الجانب الأنثوي. دعنا نقسمهم الى ثلاث أقسام: (١) أولئك الذين تحت الخمسة عشرة سنة وعددهم نحو ١٥، (٢) أولئك الذين بين ١٥ و٣٥ (وهي سنو الخصب) وأعتقد أن المرأة في تلك الأزمنة البدائية كانت خصبة مدة عشرين سنة فقط. وافرض أن هذا القسم كان يشتمل على ٢٠ والدة في وقت واحد. وكنَّ كل سنة بعد أخرى يقدمنَ للجماعة عشرة أطفال لكي يعوضنَ عن الوفيات، (٣) النساء اللواتي تجاوزنَ سن الخامسة والثلاثين وعددهنَّ نحو ١٥. وحسابي هذا يتضمن أن كل سنة تبلغ فتاة سن الخصب. وتبلغ أم سن السادسة والثلاثين ءأي تبلغ عهد النضوب الذي نسميه نحن سن اليأس. وهكذا كل عشرين سنة يتجدد جيل الأمهات. أي في كل قرن تتوالى خمسة أجيال

في هذه المدة، هذا الجيل الذي يلد في السنة عشرة يعطي مجموعة السنثروبوس ألف نفس بدل الألف الذين ماتوا. وفي دورة تجديد كهذه تتسنى فرص لعوامل «الانتخاب الطبيعي» اذ تحدث تغيرات في بنية السلالة. في جماعاتنا الحديثة يقدر أن ٦٠ بالمئة من الناس هم ضحايا عوامل الانتخاب الطبيعي، وأن ثُمن الجيل يولِّد نصف الجيل الآتي بعده، وإنه في غضون القرن يحل ٥٠ بالمئة من الأسرات محل الأسرات التي انقضت. وإذا صدق هذا الحساب على الجماعات الحديثة يصدق على الجماعات القديمة بحكم الطبع. الجماعة التي احتلت المنطقة في آخر القرن تختلف بغير شك عن الجماعة التي كانت تحتلها في أوله — تختلف جسماً وعقلاً

يقول السير أرثر كيث الى هنا كتبت وكان همي الوحيد بقاء الأشخاص الذين تكونت

منهم جماعة السينثروب البشرية الأولى. والحقيقة أني كدارس التطور في الدرجة الأولى ليس همي بقاء الأشخاص، بل بقاء الوحدات الجرثومية أو البذور البشرية الأولى المشتملة في غدة هؤلاء الأشخاص التناسلية ذكوراً وأناثاً. إن دارس التطور لا يبالي إلاّ بالعنصر المادي الذي في السلالة. فالشخص السينثروبي الذي لا يستطيع أن يضع جرثومته التناسلية في تيار الجماعة ويبقى لاذرية له يعتبر صفراً في سلسلة السلالة. ولا ريب أن عدد هذه الجرائيم كان في جماعة السينثروبي كبيراً جداً. فقد قدروه في خلية واحدة في جسمنا بنحو ٢٥٠٠٠ (genes). والذي يهمنا في هذا ليس عدد هذه الجرائيم في جماعتنا التي نحن بصددها بل بنسبة هذه الجرائيم الى الأجسام الحية التي تحملها.

في أول خطوة من خطوات الجنين البشري توضع أول حزمة من الجرثومات الأصلية جانباً لكي تقدَّم في الوقت المناسب الى الجيل الجديد. هكذا كان وهكذا يكون. الجرائيم (Genes) التي نشأ منها جنين السينثروب كانت مواليد أولئك الجرائيم التي في زمان أقدم من ذلك الزمان في تاريخ الأرض قد ولدت أشباه القرود. وهذه الجرائيم بعينها التي هيَّأت أجسام السينثروب وعقولهم، هي على الأرجح أسلاف الجرائيم التي تطوف الآن في أجسام سكان الصين. وهكذا أضع القارىء الآن أمام القسم الأساسي من عقيدتي: ان الجرائيم تتغير وتتطور، وإن حوادث التطور في العالم الأعلى قررها ما حدث في عالم الجرائيم الأسفل.

في رأي كيث أن هؤلاء الجرائيم التناسلية تعيش في الجسم وتغتذي من عصارة الجسم. ولكن حياتها لا تتأثر بحياة الجسم. ليس فيما يفتكره الانسان أو يشعر به أو يفعله يغير شيئاً في طاقة هذه الجرائيم، لا صالحاً ولا رديئاً. العادات والذكاء التي حصل عليها على حساب عمله المتواصل لم تُمَسّ. وإذا كنا نعتقد مع لامارك وداروين أن هذه الجرائيم التناسلية تتأثر بما يتأثر به الجسم، فما كان أسهل علينا من أن نحل كثيراً من قضايا التطور. مثال ذلك: الخطوط التي تظهر في كف الجنين حين يتجعد جلدها في حالة انقباضها. فاذا كنا نعتقد أن تأثير الاستعمال يُورَث إذن، فيمكننا أن نفسر ظهور هذه الخطوط في أكف الأجنة تفسيراً صادقاً. على أن هذا التفسير رفضه أكثر دارسي قضية الوراثة. والحق انه ليس في بيئتي العلمية أحدٌ إلاّ الأستاذ المشهور وود جونس Wood Jones يعتبر أن كثيراً من تطورات الجسم البشري انما هي نتيجة وراثة العادة والاستعمال.

هنا نصل الى المسألة الجوهرية: كيف يفسر هؤلاء المعتقدون باستقلال الجرائيم التناسلية، ارتقاء البشرية من السلالة البدائية (Simian) سلالة أشباه الانسان، أي كيف

يفسرون سائر التطورات التي جعلت الانسان انساناً . فقد حدث انه في غضون نصف قرن إذ كنت أبحث في تطور الجسم البشري رأيت المركبة تتطور من شكل عربة تسير بقوة الخيل تدريجاً ، الى سيارات تكتظ بها الشوارع . يمكنني أن أجلو للقارئ ماذا أعني بآلة التطور البشري إذا كنت أقارنها بتطور السيارات . في كلتا الحالتين لنا ثلاث عمليات تعمل : ـ الانتاج والتنافس والانتخاب . ففي عالم السيارات يقوم الجمهور الشاري مقام الانتخاب فهو يختار بحسب ذوقه وكيسه . والمعمل الذي يعجز عن أن يقدم للناس ما يحتاجونه ، وما يستحسنونه ، يخفق ويبطل عمله . وينشأ التنافس والتزاحم بين المصانع المتناظرة التي تقدم السيارات لنفس الجمهور .

وهنا نتوجه الى جماعة السينثروب ونسأل أين هو العامل المنتخب ، وكيف يحدث الانتخاب . عامل الانتخاب في هذه الحالة هو القوة ، وأعني بالقوة كل صفة تؤدي الى تقوية جماعة بشرية وبقائها . والجماعة لكي تبقى يجب أن تكون المودة متبادلة بينها ، ومتحدة في موطنها ، ولها عزيمة لمقاومة كل عداء من الخارج . وقد فرضت في جماعتنا هذه أن المواليد تساوي الوفيات بالعدد . ولكن دعنا نفرض أيضاً أن المواليد تفوق الوفيات كما هي العادة ليس في جماعتنا هذه فقط ، بل في الجماعات المحيطة بها أيضاً ، وان عددها زاد على ما تحتمله مناطقها . وحينئذٍ لا بد أن ينشأ تنازع بين جماعاتنا والجماعات الأخرى المجاورة — تنازع المناطق والأرزاق والحياة . ونفرض ان جماعتنا برهنت في هذا التنازع على أنها قوية إلى حدٍ أنها أمكنها ان تفني الجماعة المجاورة بحيث إنها تحل محلها وتستعمره . فإذاً المنطقة التي تقيم فيها جماعتنا تتسع . هكذا تصور حدوث التنازع والانتخاب في الناس البدائيين .

والآن أما أحاول مقارنة أخرى أصعب وأعقد - مقابلة انتاج السيارة بانتاج الطفل البشري . مقارنتنا هذه يجب ألاّ تفسر لنا كيف النماذج القديمة نشأت فقط ، بل كيف نشأت وتغيرت وتحسنت وتطوّرت أيضاً . لكي نقارن جماعتنا بمصنع كبير ، دعنا نختار مصنعاً مقسماً الى عشر دوائر ، كل دائرة تنتج نوعاً خاصاً من طراز تلك السيارة . ففي عالم السيارات يحدث الانتاج تحت سقف واحد ، ولكن المنافسة تحدث في العملاء بين عدة مصانع ، في حين أن الانتاج والتنازع والانتخاب والسلالة البشرية كلها تحدث تحت سقف واحد .

نظرنا الآن في جراثيم (Genes) الانتاج البشري ، فأين نرى مضارعاً لها في معاملنا ؟ الجراثيم في المصنع هي جم غفير من الصنّاع الحاذقين الذين نراهم في كل عشرة من العمال في المعمل . وصانع السيارة يختلف عن الجرثومة التناسلية البشرية بأمرين مهمين : الصانع يعمل

خارج المادة التي يشتغل فيها ، في حين أن الجرثومة تعمل ضمن مادتها، وكلا الجرثومة والمادة سيان . والفرق الجوهري الآخر هو أن الصانع يجب أن يحصل على حذقه الصناعي (بالتعلم والممارسة) وأما الجرثومة ، كالنحلة الصانعة ، تأتي الى الحياة متعلمة صناعتها منذ بدء تكونها تام العلم .

ولكي نقوي هذه المقارنة دعنا نفرض أن الصانع كالنحلة يعمل عمله بقوة الغريزة والعادة ويصنع أداة (دولاباً مثلاً) ، من غير تفكير في الغاية التي يصنع لأجلها . ونفرض أيضاً أن صناعنا مقسومون الى فوجين ، وكل فوج يصنع سيارة . وبتعاون صناع الفوج الواحد تنجز سيارة واحدة معدّة للسير في الطريق. نعمل مقابلة كهذه في فرض انتاج طفل. ولنا أن نعتقد أن في داخل البيضة البشرية الملقحة تجمع جمع كبير من الجراثيم السلالية التناسلية Jenes التي لا يضبطها المجهر والتي تشترك في عملية الانتاج . أولاً تنتج جرثومة جنين، ثم تنتج خلية جنين، وأخيراً طفلاً .

الى هنا مقابلاتي هذه لم تمثل إلاّ انتاج النماذج الأولى . فلم ترشدنا الى كيف أن النماذج تتغير وتتطوّر وتتحسن . الآن في المصانع الحديثة توجد أدمغة تتلقى من معاملها انتقادات العيوب فيما يصنع من السيارات، وارشادات الى ما يحتاجه أو يتمناه طلاب السيارات من المزايا والتحسينات . وبناءً على هذه الملاحظات يشرع المحسنون يشتغلون ويستنبطون، وليسوا فقط يصلحون العيوب، بل يعدّلون الطراز لكي يكون أفضل فأفضل، وأقل عيوباً، ففي المصنع الذي تصوّرته فرضت أن الصناع يشتغلون بالغريزة، فهم قلال الذكاء ، غير متأثرين بالاختبار. وجل ما هنالك أنهم ينجزون الطراز الذي تعودوه . ولنفرض أن فوجاً آخر يمكن أن يستنبط نصفه من الصناع الذين يشتغلون في السيارة الكبيرة مع صناع آخرين تعودوا أن يشتغلوا في السيارة الصغرى . فإذا أشغلنا هؤلاء الصنفين من الصناع معاً تنتج لنا سيارة جديدة مختلفة عن السيارات التي كانت تنتج من الفوجين، مختلفة في الحجم وسائر المزايا هذا هو الذي يحدث في معمل الانتاج التناسلي .

ففي البيضة البشرية الملقحة لفوج الجراثيم مصدران أصليان : النصف الواحد مشتق من الأب والنصف الآخر من الأم . وكل جماع للقاح يأتي بائتلاف جديد من الجراثيم . كل جرثومة انثوية تأتلف مع جرثومة ذكرية . فالجراثيم البشرية مبنية بناءً مزدوجاً ، وإذا جئنا نتمم مقارنتنا يجب أن نرتب صناع فوجنا الجديد أزواجاً كل صانع من صناع السيارة الكبرى يتصل بالصانع الذي يقابله أو يماثله في السيارة الصغيرة ، ويجب أيضاً أن نفرض أن صناعنا الذين يصنعون نفس الشيء الذي كان معيناً لهم يختلفون في الحماسة والطاقة والحذق

الى غير هذا مما يأتونه في المعمل الجديد. فقد يكون الصانع قديراً وحمساً ومتفوقاً، أو قد يمضي في عمله بلا اهتمام، أو يكون قليل الحذق بحيث لا يكاد يعد صانعاً كذلك هذه الجراثيم التناسلية يكون منها ما هو قدير ومتفوق ومنها ماهو بليد وضعيف. والجراثيم التي من هذا النوع تعرف في العالم البشري «مرتدة أو كامنة». واذا اجتمع عاملان متغلبان ألفا شركة قوية. واذا قرنا الصانع المتفوق بواحد من طبقة العمال لافت الشركة عيب هذه. ولكن اذا حدث أن اقترن اثنان من طبقة العمال فحينئذ يصنعان سيارة معتلة يظهر عيبها حالما تسير في الطريق. هكذا جراثيمنا كعمال مصنعنا متفوقون، أو بين بين، أو متقهقرون. ويمكننا أن نؤلف منهم جماعات مختلفة المزايا لا يكاد يحصى عددها. مع ذلك طالما نحن نحافظ على طبيعة قواعدها الأصلية فهي تستمر أن تنتج أنواعاً من الطراز القديم. وهكذا العمال الذين لم يمتزج بهم عمال من صنف جديد، يستمرون أن ينتجوا سيارات قديمة الطراز ولا يمكنهم أن ينتجوا طرازاً جديداً.

* * *

نعود الى جماعة السيننتروب فقد افترضنا أنه في غضون قرن من الزمان حدث الف تزاوج، وحدث الف امتزاج جديد بين الجراثيم التناسلية. وفي نهاية القرن رأينا اختلافاً بين الجيل الجديد، والجيل الأصلي، اختلافاً قد يكون جوهرياً، فيحدث تطوراً في جيل جديد.

لكي أورد ما يمكن أن يسمى «مصنع التطور» ألخص كلمات الأستاذ كارل بيرسون التي نشرت في سنة ١٩٣٠ بعنوان «نظرية جديدة في التطور التقدمي». كان حينئذ في الثانية والسبعين من عمره. وفي طوال حياته كان يسلم برأي دلتون انه على مدى الأجيال يكون بعض الأفراد ميالين للارتداد الى منحط طبيعة سلالتهم أو الى متوسطهما. وفي هذه النظرية الجديدة رمى بيرسون نظرية جلتون في البحر. في ١٩٠٥ شرع يولد زوجين كلب وكلبة. وفي سنة ١٩٣٠ ربى خمسمائة أنموذج من هذه السلالة وكان مدهوشاً، وفيما هو ماض في عمله، كان يرى أنه يظن أن مواليده تستمر على طراز واحد فوجد أن بعضاً منها شذت، وكلما أمعن في توليدها ازداد شذوذها وظهرت طرازاً جديداً. فقال في نظريته الجديدة «اذا ابتدأت التوليد بزوجين (والدين) وحصرت التوليد في مواليدهما على الرغم من ملازمته طرازه يتغير باطراد من غير «انتخاب». ولايضاح نظريته تصور التوليد المنحصر في أسرة بشرية مشتملاً على عدد طوال القامة، وبرهن حسابياً على أن

الجماعة التي نشأت هكذا يكون فيها ميل لاستمرار الاستطالة في متوسط قامات الجماعة.

ولتفسير نظرية بيرسون من الناحية الجرثومية يجب أن نعتبر في حالة التزاوج داخل جماعة صغيرة إن الجرائم التي لها مقدرة أن تزيد طول القامة تصير من حين الى آخر ذات صلة بالجرائيم التي تتغلب فيها هذه القدرة ، وتزداد فيها الجرائيم المحدثة الطول في الجماعة. في هذه الحالة ينشأ الميل لاطالة القامة . وإذا سببت القامة الطويلة نجاح الجماعة في تنازع البقاء ، فما من سبب في توقف هذا الميل عن الاستمرار . فالانتخاب على كل حال يكون من حظ الجماعات المتوسطة القامات ، لا من حظ نحاف القامات وقصارها . وإذا اقتضى الأمر ففي امكاني أن أستشهد بعدد من علماء التطور الذين امتحنوا الأدلة على مسألة الطول والقوة، واقتنعوا بأن ازدياد القوة التدريجي في تأليف الجرائيم المختلفة هو العامل الأساسي في عملية التطور . وإذا كان حاملو هذا الميل يقضون غرض الحياة فاذاً هم يتمتعون بنعمة الانتخاب الطبيعي ، والا فيتقهقرون وأخيراً يعزلون من الوجود .

ولكي أمثل على تطبيق هذه النظرية على أنواع البشرية أعود الى جماعتي السيننثروبية، فمن حيث قامات هذه السلالة البشرية القديمة ليس عندنا الا القليل مما يرشدنا الى غايتنا، وإنما يمكننا أن نسترشد بشيء من أحجام أدمغة أولئك الصينيين القدماء . فقد قاس ويندمرشك سعة جماجم خمسة من أولئك القوم . فوجدها تتراوح بين ٩١٥ سنتيمتراً (مكعباً وهي أصغر من أي دماغ في هذا الزمان) و١ر٢٢٥ وهو مقدار أصغر دماغ اليوم . حسبنا أن نقول أنه في جماعتنا هذه كان يوجد عدة أسرات تحمل جرائيم تناسلية متجهة الى أدمغة ١٢٠٠ سنتيمتر مكعب أو أكثر، وانه في عملية التزاوج كانت هذه الجرائيم تتلاقى لكي تولد أدمغة ميالة الى الازدياد حجماً . ولذلك أقول ان الجماعة الجيدة الأدمغة تكون أنجح في الداخل وفي الخارج من الجماعة التي لم تفز بأدمغة جيدة .

وحين نقول بازدياد حجم الدماغ البشري بالسنتيمترات المكعبة نجد حينئذٍ قضية أعقد في بحثنا . وحين نعلم أنه في كل سنتمتر مكعب من الدماغ نحو ٢٠ مليوناً من الوحدات العصبية ، أي في كل ١٠٠ سنتيمتر مكعب ، ٢٠٠٠ مليون وحدة — وهو عدد يُعادل سكان الكرة الأرضية — وان الدماغ المتوسط السعة في أيامنا هذه يحتوي (١٤٠٠٠ سنتيمتر مكعب) . فيها ٢٨ ألف مليون وحدة عصبية. إذن فيمكننا أن نفهم القوى العجيبة المنظمة التي ننسبها الى الجرائيم genes التي تنظم نمو الدماغ البشري واطراد ارتقائه. مع ذلك لا يمكننا أن نتنصل من هذه الحقيقة وهي أن عالم الخليات العصبية الكثير الأنواع انما هو متولد من خلية واحدة في الأصل — « البويضة الملقحة » — وإن القوة الأصلية

المنظمة كانت موجودة في هذه الخلية . وفي غضون النمو كانت فرقٌ من هذا الجيش العرمرم من الخلايا العصبية تحتل المحطات المعينة لها ، وتهيّىء الإتصالات المتبادلة بينها . وهكذا أصبح الدماغ آلة للسيطرة على الجسم ، وتدبير شؤون حياته . اعطِ القائد الأعلى القوّة الكافية فينجح في تنظيم جمع سكان الكرة الأرضية في جيش واحد . ولكي ينجح في هذه المهمة يجب أن يكون في امكانه أن يوفد ممثلي سلطته الى تحت فتحت الى أن يصل الى جميع أطراف سلطانه . ان للجراثيم التناسلية التي تسيطر على رقي الدماغ البشري هذه المقدرة

هناك أسلوب واحد يمكن أن يقضي الأمر في نموّ الجسم البشري ، أذكره فيما يلي : —

الجرثومة genee يمكن أن تتغير Mutate أي تتغير فجأة في الطبيعة، وتحدث في ناحية من الجسم أو في الدماغ نموًّا غير نظامي . فلا ريب أن علماء الأجنة مُحقّون في أن ينسبوا اكثر الشواذ البدنية والعيوب في المواليد الى التغير الذي نجده في الجراثيم المذكورة . مع ذلك أرى أن تغير هذه الجراثيم قد لعب دوراً صغيراً في تكييف سلالات الجنس البشري الحديثة .

وهكذا سترى اني قد نسبتُ أسباب آلة التطوُّر أو انتاجها الى عالم الجرثومة التناسلية، في حين أني أنسب عوامل التنازع والانتخاب الى عناصر الحياة العليا حيث يقع الرجال والنساء تحت الاختبار سواء افراديًّا أو جماعيًّا أو اجتماعيًّا كجماعة . وآلة التطوُّر كما أفهمها وأراها تشبه قوة مجلسي البرلمان البريطاني — اللوردات والنواب . ان انشاء المشروعات القانونية الجديدة أو خلقها تقع بين يدي المجلس الأدنى (مجلس العموم) . وما على مجلس اللوردات إلاّ أن يختار ويقبل أو يرفض ما يقدمه له مجلس العموم . يجب أن تمر المشاريع في كلا المجلسين قبل أن تصل الى صاحب التوقيع الأعلى وتصير قانوناً . وقد وضع دارون ما اعتبره القوة العليا في التطور التي سماها « الانتخاب الطبيعي » — في يد المجلس الأعلى أي مجلس اللوردات . وأما نحن أهل الجيل الحاضر في ضوء العلم الذي اتسع نضع هذه القوة العليا — قوة الخلق — في المجلس الأدنى ، مجلس العموم .

صحفي
بين الاجرام

لا يأتي عيد الفصح عند النصارى حتى يكون هذا العدد من المقتطف بين أيدي قرائه، فيتذكرون آلام السيد المسيح وهو معلق على خشبة الصليب، ومن حوله لصان مصلوبان أيضاً. وكان الشعب واقفين يسخرون منه قائلين: خلص آخرين فليخلص نفسه ان كان هو المسيح مختار الله. وكان أحد المذنبين المصلوبين معه يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا. فانتهره اللص الآخر قائلاً. ألا تخاف الله إذ أنت تحت الحكم بعينه. أما نحن فبعدل ننال استحقاق ما فعلنا. وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله. ثم قال ليسوع اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك. فقال له يسوع: الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس

وأما اللص الثاني فلما سمع يسوع يمنّي زميله بالفردوس في نفس ذلك اليوم رام أن يصلح الحديث الذي جرى بينه وبين زميله ويستغفر عن التجديف الذي جدفه على المسيح. فقال لزميله. وحياة أبيك تشفع لي عند السيد لكي يسامحني ويأخذني معك الى الفردوس. فقال: اطلب أنت هذا منه رأساً فهو يجيب طلبك.

فقال: أخجل أن أطلب منه خيراً بعد أن أهنته. فقال لا تخجل فهو مسامح كريم لا يحقد.

وعند ذلك سقوا يسوع خلاً وماءً وطعنه أحدهم بحربة. فقال يسوع: يارب اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما ذا يفعلون. فقال اللص الأول لزميله، أسامع أنت انه لا يحقد. أطلب منه فيغفر لك.

وفي تلك الساعة جاء قيافا الحاخام الأكبر الى أمام الصليب لكي يرى يسوع ويتشفى به فسمع اللصين يتناقشان فقال لهما: أتؤملان خيراً من هذا المصلوب؟

فقال اللص الأول: أجل سيأخذنا اليوم الى الفردوس.

فقال قيافا: أين الفردوس هذا.

أجابه : حيث لا تستطيع أن تذهب أنت .

فوجف قيافا وقال بصوت متهدج : — لماذا ؟

فقال اللص : لأنك كبير المجرمين . كيف تصلبون هذا القديس البار وهو يهوديٌّ مثلنا ولم يأتِ أمراً إدًّا . ما ضرَّكم لو أبقيتم عليه وتقبّلتم تعاليمه وكلها حِكَمٌ . إنها خيرٌ من توراتكم وتلمودكم . فلو سمعتم عظاته وعملتم بها لكنتم من مملكته الآن وكنتم تمضون الى الفردوس . ولكنكم خفتم منه على سلطتكم الزائفة .

فقال قيافا : وهو يضطرب : أتعتقد أنه ملك ؟

— بلا شك هو ملك اليهود . واليهود لا يستحقونه ، وقد أضاعوا فرصة لا تعود .

وكان قيافا ينتفض جزعاً وقال : بالله عليك اذا مضيت الى الفردوس هل يمكنك أن ترسل لنا الخبر اليقين عن هذا الفردوس . هل حقيقي هناك فردوس، أم أنه أقصوصة ملفقة ؟ وماذا هناك ؟

وهنا حدث زلزال انشقّ به حجاب الهيكل . فجزع قيافا أي جزع ورفع يديه الى المصلوبين يستغيث ، فاذا هم قد أسلموا أرواحهم

وكان الوقت الظهر أو بعده بقليل . ومضى يسوع الى الفردوس وتحت ابطيه ذراعا ذينك اللصين التائبين . ولا ريب انهم باتوا تلك الليلة في الفردوس . لأن الأرواح تنتقل الى عالمها الآخر بأسرع من ومضة النور . ولا ريب أن الفردوس في مكان وراء هذه العوالم المادية التي يقضي النور عشرة آلاف مليون سنة حتى يعبرها . ولكن الأرواح تصل إليها بوثبة واحدة . فلا تحسب حساباً للزمان ولا للمسافات ، ولا تقف في سبيلها عوالم مادية .

أجل يمكن الأرواح أن تفعل هذه المعجزة لأنها من طينة الوهم .

* * *

في تلك الليلة لم ينم قيافا من شدّة الخوف ، لأن ضميره شنّ عليه حرباً عواناً بسبب أنه قتل ملك اليهود . فلعن الله اليهود . ومن ذلك الزمن الى اليوم لم يزد عدد اليهود . ولم يقم لهم هيكل ، لأن الرب لا يزال غاضباً عليهم .

وفي تلك الليلة ظهرت روح اللص الأول لقيافا في غلس الليل فارتعد أي رعدة . فقال له اللص: لا تخف . لقد طلبت مني أن أخبرك عن الفردوس . نعم الفردوس هو مرتع النعيم والنعمة للأبرار . ولهذا لا يمكن أن تراه أنت . وإذا وصفته لك لا تستطيع أن تتصوره. على أني مستعد أن أخبرك ما تشاء من أخبار الأرض منذ خلق الله الخليقة . أنا الآن في نجم يبعد عنكم أربعة آلاف سنة نور . أعني أن النور الذي صدر من الأرض منذ ٤ آلاف

سنة يصل إليَّ الآن حاملاً أشباح الحوادث التي حدثت حينئذٍ .

وكان قيافا ينتفض فرقاً فقال متهدج الصوت : بالطبع ترى الآن أمنا حواء . وأبانا آدم . هل ترى في حواء جمال اليهوديات، وسحر عيونهنّ وغمزاتهن .

أجاب اللص : أجل أرى حواء عارية كنسائكنّ اليوم ولكنها لا تتخلع .أراها أمام شجرة التفاح وهي تتدلل على سيدنا آدم عليه السلام، وتقول له أريد تفاحة . فقال لها وأنا أريد تفاحة أيضاً ، ولكن التفاح عالٍ علينا ، فلا تصل أيدينا اليه . فقالت – سلامة عقلك . أين ذكاؤك ؟ ارفعني على كتفك .

فرفعها فقطفت تفاحتين . وفيما هما يأكلان « سمعا الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأا من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة . فنادى الرب آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان . فقال من أعلمك إنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت .

فصاحت حوّاء . كذّاب . كذّاب، هو قال لي أرفعك على كتفي كي تصلي الى التفاح فتقطفي لي ولك .

وغضب الله عليهما فطردهما من جنة عدن . وأقام شرقي الجنة الكروبيم أي ملاكين وفي يديهما سيف لهيب متقلب لحراسة طريق الحياة .

وكان قيافا : يرتجف فقال: أما رأيت الحيّة تخدع حواء .

– لا لم أرَ إلاّ رأس حيّة طالعاً من دماغ حواء وذيل حيّة ناتئاً من أذن آدم، ولكن الحيّة كما نعرفها لم أرَ .

وهل في الجنة بنك أو بورصة أو شيء كهذا ؟

– لا . لأنه لا فلوس في الجنة . ليس فيها إلاّ المعرفة والثمر .

لهذا لم يستطع آدم وحوّاء البقاء في الجنة . طالما لا مال في الفردوس . ليس في الفردوس تعب ولا شقاء ولا عمل لكي ينشئوا بنوكاً وبورصة . بل فيها راحة وهناء وسرور. ولذلك طردهما الله من الجنة لأنهما خالفا وصيتهُ .

فتنهد قيافا وقال : إذن لا يؤسف على الجنة أسفاً عظيماً .

– ويحك: ألا تأسف على الراحة والهناء ، أوَ لا تهتم للشقاء والتعب خارج الجنة .

– لا ياسيدي لأن التعب للجوييم (الأنجاس) غير اليهود. هؤلاء يتعبون واليهود ينعمون

– وفي الآخرة ؟ ألا تخافون من الجحيم .

— متى وصلنا لهناك تُفرَج . هذه شريعتنا .

— تعني شريعة التلمود .

* * *

واستأنف قيافا السؤال وقال : هل يمكنك أن ترى فلك نوح ؟

— أجل هذا يقتضي أن أتقدم الى النجم فرقد لكي أستقبل النور الصادر من الأرض منذ ٢٣٤٩ سنة حين حدث الطوفان لكي أبحث هناك عن نوح وفلكه . هه . ها أنذا أرى بحراً من الماء والسماء تصب فيه صبا . وقد غمر الغمر كل نجد بين الأنهر فيسون وجيحون وحدّاقل (الدجلة) والفرات . أصبحت أرض الحويلة وكل ما حولها كأنها بحر يتصل ببحر فارس، وقد غمر أرض كوش والجزيرة (السورية) منظر غريب عجيب هائل .

— هل ترى فلك نوح الذي طوله ٣٠٠ ذراع وعرضه ٥٠ ذراعاً وارتفاعه ٣٠ ذراعاً

— وي . وي . في عصر نوح لا ترى فلكاً بطول ٣٠ ذراعاً فكيف بثلاثمئة ؟ لا أرى إلاّ زوارق أطولها عشرة أذرع وأرماثاً (١) كثيرة وكلها عند سفوح الجبال وعليها الناس هاربون من الفيضان . هذا فيضان عظيم لا طوفان .

— ولكن التوراة تقول فيضان وفلك نوح ٣٠٠ ذراع .

هذه « فشرة » من الذي كتب الأسطورة . والأسطورة ما انكتبت إلاّ بعد سبي نبوخذنصر بابل أي منذ ٦٠٠ سنة (ق م .) .

— يا هذا لا تجدف . الطوفان حدث . حدث الطوفان .

— لعله حدث من قبل ، من زمن بعيد . دعني أتراجع الى الوراء لكي أستقبل حوادث عريقة في القدم ... هه . أرى ثلوجاً هائلة . تراجعت ١٥ الف سنة (ق.م) الى الوراء . هذا هو الذي سيسميه علماء المستقبل العصر الجلدي . أتراجع أيضاً عدة سنين فأرى الثلج يذوب . الأرض مغطاة بالماء الى سفوح الجبال .

فقال قيافا — هذا هو الطوفان — ابحث عن الفلك الضخم .

— حقيقة إنك غبي — وهل كان الانسان يعرف أن يبني سفينة منذ ١٥ الف سنة ؟ لا سفينة ولا فلك ولا ناس . الناس هربوا الى الجنوب حيث تقل الثلوج . صاروا في أفريقيا

— يا خسارة ، كنت أود العثور على فلك نوح اذ لا بدّ أن يكون نوح قد عبأ فيه كثيراً من ذهب الحويلة الذي يقال أنه جيد ، وكثيراً من الحجارة الكريمة كالمقل وحجر الجزع كما روي في التوراة

---

(١) ارمات جمع رمث وهو خشب يضم بعضه الى بعض ويربط ثم يركب في البحر أو النهر

— أنت تتحسر على الفلك لما فيه من ذهب الحويلة لا على الأنفس التي ضاعت في الطوفان

فقال قيافا . الأنفس ؟ لا تخف ؟ « أرض تبلع وبطون تدفع » دعني من تأنيبك الآن واخبرني أما ترك الاسرائيليون وراءهم شيئاً في مصر قبل أن يبرحوها ؟ أنظر .

فقال اللص : أعود الى النجم العيوق لكي أشاهد خروج الاسرائيليين من مصر . أجل . أرى شرذمة لا تزيد على ٣٠٠ نفر كباراً وصغاراً .

— ويحك . خرجوا من مصر ست مئة الف ماشٍ من الرجال ما عدا الأولاد . وصعد معهم لفيف كثير أيضاً مع غنم وبقر ومواشٍ وافرة جداً . كذا تقول التوراة — إذن فالذي تراه ليس خروج الاسرائيليين من مصر ، غيّر موقفك وانظر جيداً

— بلحظة واحدة أقدر أن أغير موقفي . أنا الآن في سنة ١٤٩١ (ق.م) منذ هذا اليوم وهي سنة الخروج بحسب نص التوراة — هنا الاسرائيليون يأخذون من المصريين أمتعة فضة وذهب وثياباً . ها هم يهربون بها . ها هم عند فم الحيروث متجمعون لا يزيدون عن قطيع بشر قد يبلغون الخمس مئة . هه . ها هم . عند شاطىء البحر الأحمر وقد انحسر الماء بسبب الجزر . ها الجزر قد انتهى وشرع المد يمتد على الشاطىء . ولكن الاسرائيليين صاروا بعيدين .

— أنظر هل فرعون وجيشه وراءهم ؟

— لا فرعون ولا جيش فرعون . ولا فرعون دارٍ بخروجهم .

فتمعنت قيافا وقال : رح عد لفردوسك . لا ترى شيئاً ولا تعرف شيئاً . وإن كنت تعرف كما تدعي فرح الى جبل سينا وانظر هناك موسى يقدم اللوحين الحجريين للرب لكي يكتب وصاياه عليهما . وانظر هل شطب موسى الوصية الخاصة بالربى لأنها غير موجودة في التوراة مع الوصايا العشر . هذه وصية مهمة لا يمكن أن يغفلها الرب .

لا أرى هناك سوى هرون يسبك بعض المعادن ليجعلها صنم عجل ، واليهود متجمعون حوله . وأما موسى فصعد الى الجبل ليختبىء من غضب الشعب .

— طيب ، أوَلا ترى موسى يصنع تابوتاً لكي يودع فيه اللوحين .

— قلت لك ، لا لوحان منحوتان ولا موسى يصنع تابوتاً . ها أنا أغير وضعي وأرى كل شيء في الجملة ، ها أناذا أرى اليهود يرحلون من هناك الى الشمال .

فاستشاط قيافا وقال : عجباً عد الى الجبل وانظر الله يكتب على اللوحين الحجريين بأصبعه

— حقاً انك غبي : ألا تعلم ان الله لا يُرَى ... لا موسى ولا الكهنة يرونه . وليس له أصابع يكتب بها . لعلك تعني يهوه رب الجنود . هذا ليس الله . ما يهوه إلا عسكري

لا يعرف يكتب ، لا يعرف إلاّ أن يقتل .

فقال قيافا مسلماً . انتقل الى أورشليم وانظر هناك الملك سليمان يبني الهيكل. ألا ترى هناك تابوت العهد وقد صفحه سليمان بالذهب من الداخل والخارج وأودع فيه تابوت العهد

– أجل انتقل الآن الى النجم الجبار حيث بيني وبين أورشليم مدة ١٠١٠ سنين وأرى هيكل سليمان يبنى، وأرى صانعاً حاذقاً يحفر كلاماً على لوح من حجر. لعلك تعني هذا

– ذاك حفر في طورسينا منذ سنة ١٢٥٠ ذلك هو الذي فيه الوصايا العشر .

– ولـكن هذا الصانع يحفر الوصايا العشر وها هو قد أتمها ، وها هو يضعها في التابوت الجميل

فاستشاط قيافا وقال : انك غشيم . لا ترى جيداً ، إن ما تراه الآن حدث في طورسينا منذ ١٢٥٠ سنة (ق.م).

– أنت لا تفهم الحقائق التي أنقلها لك كما حدثت وأنا أراها رأي العيان – ها نبوخذ ناصر يغزو أورشليم . وها أرميا ينقل تابوت العهد من الهيكل الى مغارة في جبل نبو لـكيلا ينهبه نبوخذناصر .

– بربك ألا يمكنك أن تدلنا على تلك المغارة بالذات لـكي نستخرج التابوت منها ونرى اللوحين الحجريين بأي لغة كتبا ونرى هل خط أصبع الله جميل ؟

فقهقه اللص وقال : يا مساكين أتطمعون باللوحين أم بالذهب الذي يغطي التابوت من الداخل ومن الخارج ، خسئتم . خاب فألـكم. ما عاد ارميا من الجبل منذ ٥٨٦ بعد أن دفن التابوت في مغارة فيه حتى عاد اولئك الأنفار الذين كانوا معه يعاونونه ، ونبشوا المغارة واستخرجوا التابوت ، وكسروه وتقاسموا الذهب الذي فيه .

– واللوحان ؟

– كسروهما .

– واخسارتاه ، تبـاً لهم ، يكسرون شريعة الله وينهبون الذهب الذي يغلفها ، كيف عاقبهم الله يا ترى .

– كما سيعاقبك على صلبك ملك اليهود .

فارتعد قيافا وقال : رحماك . لا تذكرني : أين هو ملك اليهود الآن .

هو مع الله يشرح له خياناتكم العظمى يا أولاد الأفاعي . أتستطيعون أن تهربوا من غضب الله .

في تلك الليلة مات قيافا رئيس الـكهنة هلعاً .

ويقال أن هذا اللص الفردوسي بقي يتنقل بين الأجرام ويستقبل أشباح الأرض الصادرة عنها مع موجات أنوارها، ويرسل أخبارها إلى من كان في الأرض على استعداد لاستقبالها . فكان كأنه صحفي يأتيك بأخبار الزمن الغابر كأنها أخبار اليوم ويقال أن بعض مخاطبي الأرواح اتصلوا به وتلقوا منه اخبار سدوم وعمورة ، وأيلولة جسم امرأة لوط الى عمود ملح ، وبناء ابراهيم مذبحاً ، وتقديم محرقة للرب، ووضع ابرهيم ابنه اسحق على الحطب لكي يحرقه ، الى أن ناداه الرب ونهاه عن أن يحرقه . ثم خبر جليات الجبار وهو يضرب الفلسطيني بمقلاعه . الى غير ذلك من تفكهات الزمن القديم ، فكان خير صحفي يروي الأخبار القديمة بأمانة وصدق كأنها حدثت اليوم .

ويقال ان « أديسون » المخترع العظيم اخترع قبل موته آلة كهربائية حساسة جداً تستطيع الأرواح السابحة في الأوقيانوس الأثيري أن تؤثر فيها . فاذا كانت الأرواح قد اطلعت قبل رحيلها من هذا العالم على سر هذه الآلة، وفهمت كيفية تركيبها وكيفية استعمالها، وكيفية تأثير الأرواح فيها من عالمها الأثيري يستطيع الأحياء الذين عندهم هذه الآلة أن يتفاهموا مع تلك الأرواح . وبالطبع ان الذين يفهمون هذه الآلة، ويعرفون كيف يستعملونها هم العمال في معمل أديسون والذين كانوا أعوانه في صنعها . ولا ريب أن أول روح يخاطبونها بهذه الآلة هي روح أديسون نفسه . وبعد ذلك يسلم أديسون المفتاح لصحفي الفردوس فيخبر العالم أخبار العالم الثاني أو العالم الكوني الذي يطوف فيه.

ما زلنا الى الآن ننتظر نبأ من أديسون ، كما أن جمعية العلم العقلي الروحاني تنتظر من يستحضر روح هوديني الذي أودع عندها (عند الجمعية) علبة مختومة فيها ورقة كان هوديني قد كتب فيها جملة واقترح على أي دكتور روحاني أن يستحضر روحه ويسأله ما هي الجملة التي كتبها وأودعها في العلبة . حتى إذا صدقت الروح المستحضرة كانت روح هوديني بعينه . وحينئذٍ يأخذ الدكتور المحضّر الروح ٩٠٠ جنيه جائزة الى الآن هذه الجائزة معروضة في الجمعية لمن يستطيع أن يكسبها . وستبقى الى الأبد حديث خرافة هو حديث الأرواح . وبث فكرة عالم الأرواح ومخاطبته بين عامة الشعوب يوسع حقل الخرافات. وبالتالي يكثر اخطارها وأضرارها .

اسباب اضطراب العالم
والجنون الاجتماعي

ورث القرن العشرون من القرن الذي سبقه جريمة الاستعمار . وكانت جريمة فظيعة لم يسبق لها مثيل في التاريخ . نعم كانت الأمم تحارب بعضها بعضاً، حتى إذا انتصرت إحداها استغلّت الأخرى وأدمجتها فيها كما فعل الاسلام مثلاً حين فتح الشرق والغرب وجعل جميع الناس سواسية في الحياة فلم يستعبد ولا عذّب ولا قتل . ولكن لم يحدث أن سبعة ملايين هولاندي يملكون سبعين مليون اندينوسي ويستعبدونهم ويفظعون فيهم ارهاباً لكي يستطيعوا أن يحكموهم بشرذمة من الجنود وبقليل من السلاح .

وكان من وسائل تنافس الدول في الاستعمار الامعان في دس الدسائس بين الأمة المُستعمَرة تنازعاً لها . وما كان في التاريخ قط ان أمة كالأمة الانكليزية وهي في طرف الكرة ، لا تغيب الشمس عن أملاكها . فالاستعمار الذي هو تنازع للبقاء بين المُستعمِر والمُستعمَر صار تنازعاً بين المستعمرين أنفسهم . وكان من وسائل تحميس الشعب للحرب أن هتلر كان يستفز الألمان بصراخه في آذانهم وتمكينه في أذهانهم ترديده في خطبه « يجب أن نسترد مستعمراتنا » . وكانت دول الحلفاء قد تقاسمتها بعد الحرب الكبرى الأولى، وكانت الحصّة الكبرى للتي لا تغيب الشمس عن أملاكها . فكان أول أسباب الاضطراب العالمي هو الاستعمار . ثم تداعيه للانهيار .

فالحرب الأولى كان سببها تفاقم الاستعمار حتى أنه بلغ القمة . وفي الحرب الثانية جعل الاستعمار ينهار ، أو انه انهار ، وكانت القنبلة الأولى التي دكّته دكّاً بنود ويلسن رئيس الولايات المتحدة التي قصد بها ازالة أسباب الحروب وأهم بند فيها هو « سياسة تقرير المصير » التي زعزعت صولة الاستعمار . وجاءت الحرب الثانية فنسفته نسفاً، وحررت أعظم الأمم المستعمرة — الهند وأندونيسيا وغيرهما .

كانت الحروب في هذا القرن تنازُعاً للمستعمرات فأصبحت اليوم « تنازعاً للبقاء » وهو أهول تنازع في العالم الانساني . ولماذا هذا التنازع ؟ يقال إنه تنازعٌ للبترول لأن العصر الصناعي يحتاج اليه أكثر من حاجته الى الرغيف — فهو ضروري للسفينة والقطار والطائرة والسيارة فضلاً عن المعمل الخ . وكل هذه من أهم أدوات التسليح . ولكن ما تكسبه الأمم المحاربة من الزيت تنفقه في الحرب لأجل الزيت. فما هذا التنازع الذي ليس للبقاء بل للفناء ؟

من لا يقول أن الحرب أصبحت اليوم ثورة جنون هائلة — جنون مطبق، تنتحر فيه الأمم انتحاراً — خسرت روسيا في هذه الحرب ٢٠ مليوناً من خيرة الفتيان . وخسرت أوربا وأميركا ضعف هذا العدد ونصف ضعفه . ثم خسر الفريقان أكثر من نصف بترول الآبار التي تنزح اليوم . أضف الى هذه الخسارة من الانتاج والأرواح ضنك الأحياء — جميع الأحياء من الأمم : فقر وشح ونقص مأوى وتعس ، اللهمَّ إلاَّ في نفر معدود ممن اختلسوا الثروات الهائلة وجعلوا يتنعمون . يعني إنك اذا جعلتَ تعمل حساب الحرب ، « من » الى ، ترى أن العالم كله خرج خاسراً من هذه الحروب. يقال أن الحرب تنازع للبقاء فالأصلح يبقى . ولكننا نحن خرجنا من حربنا من غير صالح للبقاء ، بل خرجنا بلا بقاء ، فهل جنون شرٌّ من هذا الجنون الذي أفضى الى انتحار الأمم جمعاء . فلنبحث عن أسباب هذا الجنون .

يمكننا أن نرد الأسباب الى بضعة أو نحصرها في بضعة : —

أولاً صدق القول « إن الذكاء ضرب من الجنون » . لأن ذكاء الانسان نشط أخيراً نشاطاً جعل هذا القرن دوراً جديداً في العقل الانساني، وفاتحة تطور اجتماعي جديد لا مثيل له فيما سبق ، هو هذا الذكاء الذي استنبط السلكي واللاسلكي ، والآلات الكهربائية المحركة والرادار والطائرة والسيارة والسفن الضخمة ونحوها — وكلها وسائل للتواصل والتواصل يسبب احتكاك الأمم بعضها ببعض . وهذا الاحتكاك يمنِّي الأمم باشباع بطن الطمع ، طمع الواحد بحق الآخر . ولكن هذه السهولة في اتصال الواحد بحق الآخر والاغترار بامتلاك هذا الحق — وهي سهولة شائعة بين جميع الأمم — هذه السهولة

قلبت الغاية رأساً على عقب . فبعد ان كان الغرض منها أن تقنص الأمـة الواحدة الأمة الأخرى صارت تخاف منها ، أصبحت الأمم لا تطمع بنصيب غيرها من البقاء والحياة ، صارت تتمنى السلامة والنجاة من طمع غيرها . وبعد ان كانت الوزارة وزارة حرب صارت وزارة دفاع . لم تستبدل وزارة الحرب بوزارة دفاع تأدباً ولباقة وتهرباً من تهمة الطمع ، بل صارت تخوفاً من الغزو والاعتداء الأجنبي — وحاصل القول أن الاختراعات الحديثة المتعددة كانت من أسباب الحرب . وأي حرب ؟ حرب فظاعة وهول .

نعني أن من أسبـاب الحرب تيسر السلاح وتسهيل نقل الجنود . ففي حرب اليـابان وروسيا كان الجيشان المتقابلان للقتال نصف مليون جندي في الجانبين . وكان ذلك أعظم جيش في التاريخ . وفي الحرب الأخيرة كان الجيشان المتحاربان لا يقلان عن عشرين مليوناً في جميع الميادين . وكان سطح الـكرة الأرضية كله ميادين قتال . فلولا سهولة المواصلات، ووفرة آلات صنع السلاح ، لما كانت هذه الحرب بهذه الضخامة الهائلة — هذا من أهم أسباب الحروب .

ولـكن هذا التسهيل المادي للحرب لا يكفي أن يجعل الحرب ضخمة وشاملة هكذا. بل هناك أسباب اجتماعية أخرى . لا يكفي أن نقول أن جزيرة انكلترا أو غيرها ضاقت على شعبها فاضطرت أن تخرج الى القارات الأخرى تطلب رزقاً. لأن طلب الرزق لا يستوجب هذه الحروب ، فها انكلترا فقدت مستعمراتها ولم تمت . فقد تعوضت منها بمعاهدات اقتصادية معها ، فأغنتها عن الحرب للاستعمار . وكذلك المانيا فقدت مستعمراتها فلم تمت .

ثم إن سياسة طلب الرزق بسلبه من الغير لا يجدي . بدليل أن الدول المستعمرة أخفقت في الاستعمار وخسرت مستعمراتها .

فما هي أهم الأسباب الاجتماعية التي أفضت الى الحروب ؟

هي أن بعض الأمم تريد أن تعيش عالة على أمم أخرى . وهذا يقتضي أن تعيش سيدة عليها . هذا شأن الأمم منذ القديم . وكانت ولا تزال الحرب وسائل للسيادة . ولـكن نحن نبحث عن أسباب الحرب ، فهناك وسائل لهذه السيادة قد تكون أهم من الحرب . هناك وسيلة السوس الذي ينخر في الخشب لـكي يقصمه فيهبط بما عليه من سقف أو

جدار . هذا السوس الاجتماعي هو الدسائس . فان الأمم في العهد الأخير صارت تدس الدسائس فيما بينها لـكي تهدم بعضها بعضاً . وأقوى عامل في هذه الدسائس هو الدعاية وآلة الدعاية هي الصحافة . إذا فـكرت ملياً بهذه العوامل رأيت أن الصحافة عملت في خلق الحروب مالم تعمل عشر معشاره القنبلة الذرية . والقائمون بهذه الآلة هم اليهود في كل زمان ولا سيما في الزمن الأخير ، فالحروب الاخيرة أثارتها اليهود .

الثورات التي كانت تثار في روسيا في آخر القرن التاسع عشر كانت تثار ضد اليهود لأنهم كانوا يمتصون دماء الشعب بالربا . وكان هنـاك حزب سري منهم ومن لفّ لفهم يسمى « النهلست » ، فتقوم الحـكومة ضد الثورة وهي لاتعرف إلاّ أنها ثورة شعب ضد الحـكومة .

لما قام حزب تركيا الفتاة ضد السلطان عبد الحميد وقلب الحـكومة كان العنصر الفعال في هذا الحزب يهوداً وكان معظمهم من سلانيك . وكان بعضهم وقد أسلموا لهذه الغاية . وكذلك كان بعضهم ضباطاً في الجيش . فقامت حركة الثورة في سلانيك . وامتدّت الى جميع البلاد عن يد تركيا الفتـاة التي كان يحركها اليهود ولا سيما الذين منهم في الجيش . وهكذا تمّ الانقلاب العثماني . وكان الوفد الذي أبلغ السلطان عبد الحميـد قرار مجلس المبعوثان بخلعه مؤلفاً من ثلاثة مبعوثين أحدهم يهودي مسلم وهو الذي قرأ قرار الخلع على عبد الحميد .

ولما استلم أتاتورك قيـادة الحـكومة واكتشف مؤامرة على الحـكومة قبض على المتآمرين وكان فيهم يهود مسلمون . وأظن كان جاويد وجاهد منهم .

ولما حدث الإنقلاب في روسيا كان مع لينين ثلاثون يهودياً ولم يكن بينهم نصراني واحد حتى زوجته كانت يهودية . وقد أعلنت حكومة الإنقلاب في الحال إلغاء الدين في روسـيا ونشر الإلحاد . وصار كل من يجحد الإلحاد يعاقب . وبهذا الاعلان والنشر اختبأ جميع اليهود الذين كانوا في روسـيا وراء ستار الالحاد فلم يعد أحد يعرف من هو اليهودي ومن هو غير اليهودي الى اليوم . فالآن لا يعرف إن كان ستالين أو مولوتوف ولا أي واحد من القابضين على زمام الحـكم في روسـيا يهودياً أو نصرانياً . فقد

يكونون كلهم يهوداً والصلة التي بينهم وبين الصهيونيين تدل على هذا .

وفي الحرب الكبرى الأولى كان اليهود يحرضون عليها من وراء الستار . ولما انكسرت المانيا قال الألمان ان اليهود كانوا السبب . وما كان حنق هتلر عليهم واضطهاده إياهم في مدة حكمه ودكتاتوريته من أمر قليل . وقد لعبوا دوراً كبيراً في الحرب الكبرى الثانية . والآن يلعبون أدوارهم جهاراً في كل أوروبا ، وفي الأميركيتين ، بل في جميع العالم .

وما يقال له الحرب الباردة إنما هو حاصل دسائسهم .

والحرب الباردة أفظع من الحرب الساخنة، لأنها تجعل الألفي مليون نسمة على سطح السيار الأرضي في خوف دائم ، واضطراب مقيم ، بل في هلع مضنك. هي حرب الأعصاب ليست حرب أعصاب مجازاً بل هي حرب أعصاب فعلاً . تجعل الناس في اضطراب دائم لا يقر لهم قرار ، ولا يطيب لهم عيش . مهما موّهوا على أنفسهم بالملاهي والمسليات . فيلهون ويغنون ، ويرقصون ، ويشربون وهم سكارى لأنهم يشربون بلا حساب . وقد لوحظ أن استهلاك الخمور تضاعف بعد الحرب لأنهم ينفون به همومهم . والناس في هموم الحياة الآن أكثر جداً منهم في كل زمان . فالتقايض بين الأمم يكاد يفشل . والأسعار ارتفعت والأسواق السوداء اتسعت والبطالة انتشرت . أحوال لم تكن من قبل بهذا الشكل . فلا بدع أن تتزلزل الأعصاب، وما أدراك ما تزلزل الأعصاب — هو ارتجاج في المخ، وهياج في المجموع العصبي ودنوّ الى الجنون . وتحرك الأمراض المختلفة .

وهنا وصلنا الى أهم نقطة في هذا البحث، وهو كيفية التهييج والاضطراب .

ان الحياة التي يحياها الناس في هذا الزمن تجهد أعضاء الجسم الحيوية ايّ اجهاد فتقلقل التوازن الذي كان بينها ، فلا تعود تعمل متوافقة متعاونة فيما بينها . فالغدد الدرقية والنخامية والسنخية وغيرها صارت تتحمس فتفرز من هرموناتها (١) أكثر من المطلوب منها لقضاء

---

(١) وقد ترجموا كلمة هورمون العلمية الى كلمة «تور» العربية ، وهي ترجمة مضللة لان كلمة تور في القاموس رسول أو إناء يشرب فيه ، فأين هذا المعنى من كلمة هرمون ؟ واذا رام القارىء أن يفتح كلمة تور في القاموس فهل يفهم منها معنى كلمة هرمون وهو مادة كيمية تفرزها الغدة وتنتقل بواسطة الدورة الدموية الى عضو آخر فتقويه . فهل يفهم من كلمة تور هذا المعنى . واذا كتبنا في ما نكتبه كلمة تور اضطررنا أن نفسرها بلفظها العلمي الشائع Hormon فلماذا لا نستعمل هرمون رأساً بلا مراوغة

وظيفتها . فأثرت في الخليات الدماغية فأخمدت قوة الارادة من جهة . وفورت العواطف من جهة أخرى . فأصبح الإنسان منقاداً لعواطفه أكثر من تعلقه أي أنه يعمل بإلهام العواطف أكثر مما يعمل بإلهام العقل . فقلت رزانته وضعفت تبصرته ، ووهنت حكمته وكثر شذوذه عن الصواب .

فاذا كان معظم الناس مصابين بهذا الخلل الحيوي أصبحت الهيئة الاجتماعية كلها مصابة به أيضاً فتغلب الشر على الخير ، وتغلب الغضب على التسامح والطيش على الرزانة . ولا يخفى أن الجماعة أكثر تعرضاً للشذوذ من الفرد بحكم المحاكاة . فإذا قام فردٌ ينادي بالحرية والمساواة ، والديموقراطية ، والاشتراكية أو نحو ذلك من القضايا الاجتماعية في قوم هاجوا كلهم وماجوا لأن حالتهم العصبية مضطربة . ومن كان هادئاً وراضياً أصبح غاضباً ساخطاً .

وتعليل ذلك فسيولوجيًّا أن الإنسان مسير بأعمال المراكز العصبية التي في دماغه وحبله الشوكي . وجميع تصرفاته ناشئة عن عمل هذه المراكز ولا سيما المراكز الدماغية . فاذا حدث أي خلل في هذه المراكز ظهر أثره في تصرفات الانسان . وهذه المراكز كسائر أعضاء الجسم محتاجة الى التجديد والغذاء . وللدم شأن عظيم في حياتها والهورمونات والغدد المختلفة تأثير كبير في أعماله . فاذا جاءتهم هذه الهورمونات بقدرٍ أكثر من حاجته أو أقل منها اختلت المراكز العصبية المتغذية من الدم .

الدماغ ذو فلقتين أو جانبين . الواحد خاص بالمراكز العقلية والآخر بالمراكز العاطفية، المراكز العقلية تتلقى المدركات المحسوسة الآتية للدماغ عن طريق المشاعر ، ثم تزن هذه المدركات وتوفق بينها . ثم أنها تسيطر على المراكز العاطفية بحيث تمنعها من التهافت الى الشهوات ، وتتدارك اندفاعها فيها .

والمراكز العاطفية تصدر الشهوات كالسرور والغضب والحزن الخ ، ثم انها ترتد على الغدد نفسها التي سببت تهيجها وتؤثر فيها فتزيد افرازها أو تجهدها بحيث يقل افرازها فيختل عمل هذه الغدد وتختل وظيفة الأعضاء التي تعمل فيها .

فترى أن هذا التفاعل بين المراكز العاطفية الشهوانية والغدد هو سبب أعمالنا غير

الطوعية أي الأعمال التي خرجت عن سلطة ارادتنا والتي يعجز العقل أحياناً عن تقويمها أو ردّها . والمعلوم أن الانسان تسيطر مراكزه العقلية على أفعاله. فهو يفعل هذا الفعل أو ذاك لأن مراكزه العقلية السليمة قررت أن يفعل كذا وأوعزت الى أعصابه أن تنفذ الفعل . فإذا اختلت أعصابه للأسباب التي ذكرناها لم تعد تستطيع أن تفعل الفعل المطلوب سديداً لأنها خرجت عن سلطة العقل .

أما اختلال وظائف المراكز العصبية فيحدث بأسباب ربما كان أهمها سموماً تفرزها بعض الجراثيم المرضية في الجسم كالتيفوئيد والالتهاب الرئوي وتعفن الأمعاء . وهذا التعفن عام في الأنام وهو أكثر افرازاً للسموم ولا سيما سم الفينول (حامض الفينيك) وهو يسبب تصلب الشرايين. فهذه السموم على اختلاف أنواعها تفعل في الغدد المشار إليها آنفاً أي تعلها وتخل عملها . فقد تفرز من هورموناتها أقل من اللازم أو أكثر منه . وكلا الأمرين يؤثران تأثيراً سيئاً في المراكز العصبية في الدماغ والحبل الشوكي فتضطرب المراكز العقلية والمراكز العاطفية جميعاً . ويحدث الهياج العصبي بين غضب ورضى ، وسرور وحزن ، حتى يكاد الانسان يخرج عن حكم ارادته ويفعل أفعالاً شاذة ، ولا يعود يفطن لمسئوليته فيها، ولا يحسب حساب عواقبها . ويعجز عن كبح جماح عواطفه

إن بعض العواطف الألمية كالخوف والغضب والتحمس والملل والحزن . وجميع الصدمات العاطفية تحمس الغدّة « الفوق كلوية » Suprarenal وتحضها على عملها الى حد الاحراج ، فتشرع هذه تفرز الغزير من عصارتها . وعصارتها تحمس الغدة الدرقية والغدة النخامية فتتنافسان في افراز هورموناتهما، وجميع هذه الهورمونات تهاجم المراكز العصبية في الجانب العاطفي من الدماغ، فتثيرها حتى تطغى على المراكز العقلية وتتدفق من حولها ولا يبقى لهذه طوق على صدها وردها، فيضعف التعقل وتندفع أمواجها في المجموع العصبي كله .

والخطر الأعظم انما هو في هذه الأمواج العصبية المتدفقة التي تعود فتفعل في الغدة الفوق كلوية وتستكدها في افراز هورمونها ، وهذا الهورمون بدوره يعود فيفعل في الغدتين الدرقية والنخامية فيستكدهما. وهكذا تعود هورمونات هذه الغدد فتؤثر في المراكز العصبية وتستثيرها الى حد الغضب والهياج حتى الجنون. وهكذا دواليك ، — حركة عصبية واجهاد عقلي وثورات عواطف في دائرتها ولا يوقف هذه الحركة إلا الونى والوهي

أخيراً أو أي عامل آخر مناقض للعامل الأول الذي حرّك هذه الحركة الاضطرابية. فكان العامل الأول خارجيًّا ولكن العوامل الأخرى كانت تضرب على أوتار الأعصاب فأصبحت بعدئذٍ داخلية كما رأيت.

هذا هو الحادث الآن في البشر. أعصاب ثائرة ومراكز عقلية مضطربة فضعف التعقل وقلت التبصرة حتى أصبح هذا الاضطراب العقلي أو بالأحرى الدماغي اجماعيًّا مصاباً به كل فرد من أفراد البشر لأن أسبابه الفسيولوجية عامة. وبالطبع لهذا الاضطراب الدماغي العصبي عوامل خارجية أولاً وهي التي سببت العوامل الداخلية. فما هي العوامل الخارجية

العامل الاول الأساسي هو نوع المعيشة التي يعيشها البشر اليوم والنظام الاجتماعي في الدرجة الأولى سبب هذا الاستقطاب الاقتصادي الغنى الفاحش من ناحية والفقر المدقع من ناحية أخرى. فالغنى الفاحش سبب الترف والبطر والتأنق في المأكل والملبس. فاعتلت المعد، وصارت تفرز السموم التي أعلت الغدد وهذه أعلت المراكز العصبية والدماغية وأخلت المراكز العاطفية فتسلط الجنون على العقل.

ثم ان العسف الاقتصادي التي تنهجه الرأسمالية كان من أهم الأسباب الخارجية التي تثير الأعصاب، وبالتالي تخل وظائف الغدة، وهذه بنوبتها تضل المراكز العصبية فتحدث الاضطراب العقلي وبالتالي الاضطراب الاجتماعي أو قل الجنون الاجتماعي.

ذلك ما فعله القطب الأول: الغنى الفاحش. وأما القطب الثاني الفقر المدقع فقد فعل أكثر وأسوأ. فسوء الغذاء، وسوء المأوى، وسوء الكساء — كل هذه الأسواء أثارت الحنق في الأفراد فضلاً عن وفرة الأمراض. وكل هذه تعل الغدد وبالتالي تخل عمل لأعصاب. وأخيراً تؤدي الى الاضطراب كما تقدم الشرح.

والبيئة الاجتماعية الحالية التي يقرع فيها سوط الاستبداد أوتار الأعصاب كل دقيقة فتعل الغدد، وتخل وظائفها، وبالتالي تخل وظائف المراكز العصبية، وتحدث النتائج التي تقدم بسطها.

وإذا كانت وسائل المعيشة معرقلة عرقلة لم يحدث مثلها في تاريخ البشر حتى كادت المعاملة تنشل على الرغم من تسهيل المواصلات. فهذه العرقلة جعلت هموم الناس أرياحاً تعصف في حياتهم فلا تجعل لهم اطمئناناً ساعة واحدة. فكيف لا تبقى أعصابهم مضطربة دائماً

فالهيئة الاجتماعية الآن كلها مصابة بحمى اجتماعية، أو بالأحرى حمى جنونية لا يكاد يشفيها إلاّ الانتحار. وهي تنتحر الآن أو في القريب العاجل إذا لم تقو المراكز العقلية على المراكز العاطفية. فكيف يحدث هذا؟

برلمان السيدات

كانت لنا سهرة حافلة جامعة ربات الخدور، وذوات التطرية والطيوب، وذوي الجاكاتات والبنطلونات، وبعض السيدات اللواتي جممنَ الشعور، وعقدنَ الكرافاتات، وحملنَ البستونات، (العصي) ودخّنَّ السيكارات، وصرنَ يلعبنَ البردج والبوكر والباكاره، كان ذلك لما اخشوشن الجنس اللطيف، والطوطف الجنس الخشن، حتى لم يعد سهلاً التميز بين الجنسين إلاّ بالعواطف ورقة الاحساسات.

كان ذلك في حين كانت بعض الصحف تستفتي القراء في حق السيدات السياسي. وكان هذا الحق موضوع السامرين والسامرات في تلك السهرة، فاشتد اللغط فيه، واحتدت بعض السيدات حتى كدنَ يخرجنَ عن طور الوقار، ووقفت بعضهنَّ يحاضرن كأننا في ندوة سياسية اجتماعية — كان مجلس "عجيب"، كأنه برلمان ثائر انبرى فيه كل ذي رأي صائب، وعائب، حتى صار الغلام نائباً فيه، والصبي شيخاً في مجلس الشيوخ، وصارت الفتيات والسيدات يتبارين في تنازع حق الانتخاب ووظائف الدولة والوزارات الى أن صاح في اللاغطين رجل مجوني محب المزاح، له رتبة باشا قال سمعاً يا قوم: هلمَّ نمثل الآن برلماناً مختلطاً من الفتيان والفتيات والسادة والسيدات لأنه عن قريب سيكون لنا نائبات ان شاء الله ما دامت هذه نخوتكم في طلب الحقوق وسن القوانين.

فصرخت بعضهنَّ: نعوذ بالله، بعيد الشر من النائبات. وقالت احداهنَّ لماذا نسموهنَّ نائبات.

فقال الباشا: ماذا نسميهنَّ؟ والنائبة مؤنث نائب.

فقال فتى: سميهنَّ ممثلات. أليس مجلس النواب في أميركا يسمونه هوس اف ربرزنتتيف Hause ot Representitives

فقال فلان بك : طبعاً . وما المجلس إلاَّ مسرح الممثلين والممثلات . فقالت واحدة ؟ اسحب كلامك . في انكلترا يسمونه هوس اف كومون Hause of Comons فلماذا لا نسميه مجلس العامة ؟ .

فقال فتىً : يعني مجلس الغوغاء أي الباعة الطوافين في الشوارع والنشالين .

فقال الباشا: واذا انفتح باب البرلمان للسيدات فسيكون عندنا مجلس شيوخ وشيخات فمن تشاء فلترشح نفسها شيخة .

فقال أحد الفتيان : لا أظن سيدة ترشح نفسها لمجلس الشيوخ . لأنه يُشترط في هذا المجلس أن يكون العضو قد بلغ الأربعين من العمر ، ولا أظن ان بين السيدات من بلغت هذه السن .

وقال الباشا : بلا طول حديث ونحن نود الآن أن نمثل برلماناً . فلنفرض أن جميع الحاضرين أعضاء برلماننا .

فقال البك : حسناً . يجب إذن أن نشكل وزارة ورئيس الوزارة يتلو خطاب العرش لكي نرى كيف تكون سياسة الحكومة ، وهل يوافق البرلمان عليها ؟

فقالت إحداهنَّ هذا حق : فلنسأل بعض الحضور ماذا يقترحون لكي تؤلف الوزارة خطاب العرش .

وتألفت الوزارة من بعض الفتيان والفتيات فكانت الوزارة ٩ أشخاص ، والباشا رئيس الوزارة . وقامت احدى السيدات وقالت : يعني الوزارة وزارة شباب وشابات ، وما عينتم ولا سيدة ربة بيت وأم أولاد . واذا كان الوزراء والوزيرات لا يعرفون أن يربوا أولاداً فكيف يديرون دولة .

وكاد اللغط ينفض سقف المنزل ويقذفه في الفضاء . فقال أحد الرجال : غير مطلوب من وزارة السيدات إلاَّ أن تكون الضجة منظمة ، والثرثرة قيمة ، لكي تقوم أعمال الدولة على قدم وساق .

فقال رئيس الوزارة: نضيع الوقت في كلام لا طائل تحته . نريد الآن أن نسمع الطلبات . فماذا تطلبين يا حضرة السيدة فلانة .

قالت فلانة : أطلب للمرأة كل الحقوق التي للرجل وزيادة عليها أن يكون صندوق البيت في يدها ، ومعها مفتاح جيب زوجها ، وأن لا يصرف الرجل قرشاً إلا إذا هي منحته إياه .

فقالت أخرى : نعم هذا حقٌ لكيلا تذهب قروش الرجل للحانة والمقهى ونحو ذلك .

فقال رجلٌ — نعم هذا صواب لأن النقود يجب أن تنفق في ليالي القمار التي تروجها السيدات في هذه الديار .

وقالت أخرى : خلونا بالجد . اني أطلب للمرأة حق الطلاق . يكفي الرجل أن يكون له حق الاختيار في الزواج . فليكن لها حق طلب الطلاق

فقال الباشا : نخاف أن تروج سوق الطلاق لأنه ما من زوجةٍ راضية .

فقالت فلانة — لا وسيلة لخروج المرأة من تحت استبداد الرجل إلاّ تهديده بالطلاق

وقالت أُخرى : هذا يستلزم أن يكون للنساء الحق في العمل والإنتاج وكل صنوف الأشغال ، وإلاّ فلا تجرأ امرأة أن تطلب طلاقاً . وإذا لم يكن للنساء حق الطلاق فلا يعتدل الأزواج في معاملة الزوجات

وقالت أخرى : لي اقتراحات كثيرة تشغل البرلمان عمراً .

فقال فتى : إذاً أنا ضد دخول السيدات في البرلمان لئلاّ يقضي العمر في نظر قضية نائبة واحدة .

وقالت أخرى : أقترح أن يؤذن لكل سيدة أن تحمل مسدساً حتى اذا تعرض لها رجل وقح ناولته رصاصة .

فقالت سيدة أخرى : كذا . كذا . كذا الإقتراحات وإلاّ فلا . وأنا اقترح أن يكون مع كل سيدة مدفع رشاش حتى اذا تصدّى لها رهط من الشبان الوقحاء حصدتهم حصداً

فقال الرئيس : أنا معكِ بهذا الاقتراح .

وقالت : أطلب إقفال جميع المقاهي والحانات ، وفتح أندية للسيدات والرجال بلا قمار ، ومنع جميع المسكرات من الدخول الى القطر ، حتى لايتسنى لرجل أن يقتني الخمرة ويشربها في البيت .

فقال فتى : وأنا أوافق على ذلك . وأطلب منع استيراد الدخان ، وإقفال جميع معامل السجاير، حتى لا يتسنى لسيدة أن تشتري علب السجاير بالدستات .

وقال رجل ممن يكثرون التدخين : وأنا أطلب شنق ربة الموضة . فإذا شنقوها أترك التدخين والخمرة وشرفي ورحمة شنبي

ووجه الرئيس السؤال الى زوجته فقالت : لا اقترح إلاّ أمراً واحداً وهو منع جولان الباعة في الشوارع لأنهم جننوني « بزعيقهم » . ولا سيما حين أكون نائمة ومرتاحة من العمل المنزلي .

فقال : وجِّهي هذا الإقتراح الى وزيرة الشؤون الاجتماعية .

فقالت وزيرة الشؤون الاجتماعية : إني مستقيلة من هذه الوزارة لأن وزيرة الداخلية لا تنفذ لي قراراً

فقالت وزيرة الداخلية : أي قرار طلبتِ تنفيذه وما تنفّذ .

قالت : في العمارة التي نقطنها بيت قمار، والمقامرون والمقامرات يتشاجرون حتى الصباح، ويقلقون راحة السكان . فلا يغمض لنا جفن على « زعيقهم » ، وأحياناً يستدعون قسم البوليس لكي يفصل بينهم ، وهو يقود من يقود الى القسم لكي يعمل محضراً . وأحياناً يظهر للمأمور أن ذلك البيت أو النادي وكر دعارة .

فقالت الوزيرة : إني أوجه الأوامر الى الحكمدار لكي ينفذ . فسأله لماذا لا ينفذ ؟

فقالت : اسألي مصلحة الرخص لماذا تعطي رخصة بالقمار في بنايات في وسط العائلات الكريمة .

قال الباشا : سنحيل هذه القضية على البرلمان ونرى ماذا يقول فيها .

وقالت السيدة فلانة : اقترح تشريعاً مقتضاه إنه في كل حادث سيارة تدهس شخصاً يكون المسؤول السوّاق دائماً على الاطلاق بلا استثناء

فقالت الآنسة فلانة : هذا ظلم . لأنه في أكثر الحوادث يكون الحق على الشخص « المدهوس » لأنه سمع التزمير وما حاد من الطريق .

فقالت صاحبة الاقتراح : تعنينَ ، لأنكِ سواقة اوتوموبيـل تستحلين أن تبرري دهسك الناس . تدهسين ، ثم تزمرين ، ثم تقولين الحق عليه ، زمرت لهذا الأهوج فما حاد من الطريق . فكيف يحيد بعد أن اندهس؟ ،

فقالت : يمكن يريد أن ينتحر فطرح نفسه أمام الاوتوموبيل

— تعنين أن التزمير برّر لك سحقه . لو كنتِ تحافظين على قانون السرعة وتسوقين بسرعة ٣٠ كيلو متر في الساعة لأمكنكِ أن توقفي الأوتوموبيل على بعد متر منه . فالمسألة ان أصحاب السيارات يفتكرون أن الشارع ملكهم، وانه يجوز لهم أن يتسابقوا كأنهم في سباق، والجائزة للسابق الداهس أو الأدهس .

فقال أحدهم : الحق مع السيدة فلانة يجب أن يكون سائق السيارة دائماً مسؤولاً لأنه لا يحافظ على قانون السرعة ، ويوجب على الناس أن يركضوا من طريقه حتى ولو كان عند الراكض مرض القلب ويقع ميتاً قبل أن يقطع الشارع . في بعض الشوارع لايمكنك أن تعبر الشارع ولو انتظرت نصف ساعة أو ساعة ، لأن السيارات متتابعة بلا انقطاع وهي تتسابق . وتزمر فتصدع الآذان وتقلق القلوب وجفاً ووجلاً .

فقال آخر : إذن يجب أن يقرر البرلمان أن تفتح شوارع تحت الأرض في بعض الجهات (نفقاً) .

وقالت أخرى : اقترح أن يكون في الترام باب للدخول وباب للخروج حتى لا يقف النشالون على «الرفراف» فقد نشلوا مرة محفظتي ولم يكن في امكاني أن أحمي نفسي منهم ولا أجد من يحميني .

وقالت أخرى : ان الباعة يسدون باب الترام ومواقف الركاب بحيث انه يستحيل على السيدة أن تنزل أو تطلع . وكثيراً ما تقع السيدة تحت العجلات فيما تكون طالعة لأن هؤلاء الطفيليين لا يتركون منفذاً للركاب .

فقالت وزيرة الداخلية : سأمنع سير الباعة في الشوارع على الاطلاق، حتى لا يسدوا الطرقات .

فقالت أخرى : يجب أن تمنعي الشحاذين أن يسيروا في الشوارع المزدحمة بالمارة .

لأن فيهم من يكسر القلوب : هناك رجل لا يدان له ، ولا رجلان ، وفي وسطه حزام معلق به أوراق اليانصيب . وهناك أعمى أقطع اليد يستعطف وحاله تسحق القلب المعطوف . وهناك مرأة على يدها طفل ، وفي يدها الأخرى غلام ، وفي بطنها جنين ، الى غير ذلك من مصائب الزمان المتجمعة في هؤلاء الشحاذين الا المتصنعين وهم كثر . أفلا يجب على الحكومة أن تجمع كل هؤلاء في ملاجىء خاصة بهم . فمن يستطيع عملاً يدويًّا يعمل في الملجأ . والا فرزقه على الدولة على كل حال .

فقالت وزيرة المالية : كل هذا يكلف أموالاً طائلة . يعوزنا المال لتعليم الأطفال والرجال والشيوخ ، والمال للجنود والمال لاعانة المحتاجين الى آخره . فمن أين المال . ليس عندي مال ، وأنا وزيرة بلا ماهية ، فمن أين أجلب المال .

قال فتى : — أوزيرة المالية تدعي الفقر وعندها المطبعة التي تطبع الجنيهات والريالات وأرباعها ، وما عليها إلاّ أن توقع على الورق . ويكفي أن يكون توقيعها «كليشه» تبصم به الأوراق فلماذا تحملي الهم يا معالي الوزيرة .

فقالت : شكراً يا شاطر : لقد سهلت لي المهمة جدًّا . وإن شاء الله يكون لنا دولة ثرية تعمل كل شيء لمصلحة البلاد والأمة . يمكننا بالأوراق أن نكهرب الخزان ، ونفتح آبار البترول في الصحاري ، وان نحوّل الصحراء الى جنة فيحاء . ما دام تحصيل المال ميسور هكذا . فلتحيَ المطبعة — مطبعة ورق العملة.

فقال الباشا ضاحكاً : بقي شيء واحد لا بدّ منه حتى يمكننا أن نقول إننا استغنينا بالورق ، وان مشروعاتنا ناجزة ان شاء الله .

فتعجلت السيدة عقيلته وقالت : فهمت ماذا تريد أن تقول :

— ماذا .

— تريد أن تقول لم يبقَ في نفسي إلاّ حاجة واحدة وهي أن تكون لنا مدارس كفاية لكي نعلم كل فرد وكل مولود وكلّ من لم يولد بعد .

قال مرجي : صدقتِ . ولكن المدارس لا تكفي يلزمنا معلمات بارعات يحسنَّ التربية.

فقالت : هذه من واجبات وزيرة المعارف . فأين هي .

فقال : عيّنا وزيرات لكل الوزارات إلاّ وزارة المعارف فقد نسيناها . فلننتخبها الآن ، أو نؤجل انتخابها الى الاجتماع القادم ان شاء الله .

روز (أنطونيه) حداد

العناصر الاولى (١)

من الخدمات الاجتماعية الضرورية
للعشائر البدوية في بلاد الشام

إن أكبر خدمة اجتماعية وأنبل مساعدة إنسانية تسدى الى هؤلاء البدو هي سوقهم نحو التطوُّر والتحضر أي نحو الإقلال من الظعون والأسفار والأباعر والأبعار، ومغادرة بيوت الشعر وسكنى بيوت الطين والحجر والتخلص من الفقر، والجهل، والمرض، وتملك الارضين وتفجير الينابيع والقنوات، والانكباب على الفلاحة والزراعة اللتين فيهما خبز حلال وماء زلال. ونحن نعتقد أن الزمان لا بدَّ أن يفعل فعله بهؤلاء البدو ويكرههم رويداً رويداً على قبول هذا التطوُّر والتحضر. وهو أمر طبيعي، نفذ في كل الشعوب والعشائر التي كانت قبلهم ومثلهم، فهجرت البداوة، وانصهرت في بوتقة الحضارة. لكننا نحن نود أن نستعجل الزمن فنجعل القسم الأول من البدو من القسم الثاني في أقرب وقت ممكن، والقسم الثاني من القسم الثالث، والثالث من المتحضر تماماً تارةً بالحكمة والموعظة الحسنة، وتارةً بالدفع والقسوة شأن الأم الرؤوم التي تحاول أن تسقي فلذة كبدها دواءً مرًّا فيتمنع هذا، ويتدلل في تجرعه، فتصبه في فمه صبًّا عنوةً وقسراً.

كان البدو الى مضي ٢٠ — ٢٥ سنة يعتمدون على (الغزو) و (السلب والنهب) ويعدونهما بعد رعي الإبل والغنم مرتزقهم الطبيعي، ويهتبلون الفرص من فوضى الأحكام، وضعف السلطات، ليستبيحوا حمى المعمور ويمعنوا في الأذى والعدوان. إلاَّ أن هذه الفرص لم تعد تواتيهم كالأول، ويجب أن لا تواتيهم. فسبيل الغزو انقطع أو كاد بفضل قوى البادية وحراسها راكبي الهجن أو راكبي السيارات المصفحة في دول العراق، وسورية،

---

(١) بقية محاضرة الاستاذ وصفي زكريا المنشور قسم منها في العدد السابق

والأردن ، والمملكة السعودية . ثمَّ ان سيارات الركب والنقل زاحمت الإبل والخيل ، وسدَّت أبواب الرزق أمامها الى حدٍّ بعيد . ومن أجل ذلك أصبح البدوي في حاجةٍ كلية الى (التطوُّر) أي الى إيجاد مورد عيش جديد ثابت في المعمورة أو في قربها ، والى الإنصراف نحو الفلاحة والزراعة ، واستثمار خيرات الأرض ، والتخلص من الفقر ، والجهل ، والمرض ، وهذا هو (التحضر) الذي نرومه . وسنذكر في المواد التالية شروطه المناسبة

١ — الأمن : إن البدو لا ينصرفون الى الفلاحة والزراعة ، ولا يرضخون للتطوُّر الطبيعي ، ولا يتحضرون ما لم يفرض عليهم التحضر فرضاً ، ويضطرون الى اعتناقه قسراً . ولا يتم هذا إلاّ متى رأوا الأمن في البادية موطداً توطيداً تامَّا ، ووجدوا فوق رؤوسهم حكومات قوية وقوانين صارمة تردعهم عن نزوات أنفسهم المتحفزة للوثوب والطغيان . وهو ما نرجو أن تستمر عليه الدول العربية التي عددناها ، وذكرنا ما وضعته لأجل هذه الغاية من قوى الهجانة والسيارات المصفحة ، ونرجو أن يتساوى كبراء البدو مع صغارهم ، وقويهم مع ضعيفهم ويعاقب المعتدون منهم عقاباً صارماً سريعاً ، بالنظر الى أن البدوي لا يفهم غير لغة العقوبة الصارمة السريعة .

٢ — بعد توطيد الأمن وقطع كل أمل للبدو في الغزو والسلب والنهب يرجى من الحكومات العربية أن توجههم نحو الفلاحة ، والزراعة ، وتعلمهم أساليبها وتعوّدهم على مزاولتها وتقطعهم الأراضي البائرة والخرب الدائرة من أملاك الدولة التي في أطراف المعمورة وتقسمها على افرادهم بالعدل لا على مجموعهم ، كي لا يستبد بها الشيوخ وحدهم على شريطة أن يبنوا فيها القرى والمساكن ، ويستقروا إن لم يكن كلهم فمعظمهم وينصرفوا بأنفسهم وأيديهم نحو الحرث والزرع والعيش الشريف والهدوء اللطيف .

٣ — منح المحتاجين منهم إعانات لشراء الأدوات الزراعية والبذور ودواب العمل وفتح قنوات الري ، وإقراضهم لأجل ذلك رؤوس أموال بشروط خفيفة ، على أن تربط هذه الإعانات والقروض بكفالات قوية تؤمن انفاقها في سبيلها ، لا في سبيل بذخ الشيوخ وترفهم .

٤ — إيجاد ماء الشرب للبدو وماشيتهم ، وذلك بحفر العدد الكبير من الآبار الحديثة التي حفرتها مصلحة الري السورية في مختلف أنحاء البادية ، وتنظيف الآبار القديمة التاريخية وترميم جدرانها ، وتسهيل الإمتياح من هذه وتلك بالوسائط اليدوية أو بالمحركات والصهاريج المحمولة على سيارات متنقلة.

٥ — ايجاد مستودعات في بعض نقاط البادية ومخافرها تخزن فيها كميات كافية من الأعلاف كالتبن والكلأ المجفف لأطعام الماشية، وذلك في حالة استمرار الجدب والقحط ، ثم ايجاد الملاجىء والحظائر الصالحة لايواء هذه الماشية في فصل الشتاء ووقايتها من الصقيع إذا اشتد واستمرّ والثلج اذا تراكم . فهذه المستودعات والملاجىء تحفظ هذه الماشية التي هي الرزق الأساسي للبدو وشركائهم في الحواضر، ومصدر كبير لغذاء أهل المدن من سمنها ولحومها وأصوافها وجلودها ، وثروة عظيمة للبلاد وللحكومات تقدر بالملايين ، فمن الضروري حفظها بانفاق مبلغ زهيد في سبيل المستودعات والملاجىء المذكورة، ورب فلس وفى ديناراً .

٦ — تأسيس مستوصفات نقالة محمولة على سيارات كبيرة يذهب بها أطباء وممرضون ويلحقون البدو الى أماكن تجمعهم في البادية ، أو أماكن تقيظهم في المعمورة ، ويداوونهم ويلقحونهم ويعالجون أمراض البجل والجدري والتراخوما وأمثالها التي تفتك فيهم وبذراريهم .

٧ — ارسال بعثات بيطرية في سيارات كبيرة أيضاً يذهب بها أطباء وممرضون بيطريون ويلحقون البدو ويداوون مواشيهم ويلقحونها ويعالجون الجدري والجرب والأمراض المعدية والمعائية التي تفتك فيها كثيراً .

٨ — تجفيف المستنقعات في الأماكن التي يقيظون فيها في المعمورة وتخليصهم من حمى الملاريا التي تصيبهم دائماً .

٩ — مكافحة الأمية ونشر التعليم وذلك بأن تفتح في المدن المتاخمة للبادية مدارس ابتدائية خاصة بأبناء العشائر ، على أن تكون ابتدائية داخلية مجانية مستوفية الشروط ومنشطة لهم وجذابة لقلوبهم . لأن هؤلاء الأبناء إذا تعلموا وتثقفوا ونالوا على الأقل

(الشهادة الابتدائية) يرجى يوماً ما حينما يخلفون آباءهم أن يكونوا قدوة حسنة ودعاة تحضير واستقرار وتهذيب لعشيرتهم وخصوصاً اذا كانوا من أبناء الشيوخ والكبراء. ومن دواعي السرور أن الحكومة السورية قد تبنت هذه الفكرة وصحت عزيمتها على فتح عدة مدارس عشائرية في مطلع السنة الدراسية القادمة .

١٠ — ان يوفد وعاظ وأطباء من أهل الحمية والمعارف الدينية الصحيحة لارشاد البدو الى ما يجهلونه من الاعتقادات والعبادات والتعاملات ويدعون الى الفضيلة والخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . لأن البدو لخشونتهم وتوحش بواديهم جفاة الطباع وهم أشد الناس حاجة الى ما يشذب من أخلاقهم ويثقف من أميالهم وينبط ماء الحنان والشفقة من قلوبهم .والبدو لفقد الوازع بين ظهرانيهم وانتشار الجهل في مجتمعهم هم بحاجة شديدة الى الدين البسيط الخالي من الخرافات . وهم أشد الناس خضوعاً وتأثراً بالدين ومواعظه إذا عرفوه ، وله في نفوسهم تأثير فعّال جداً .

١١ — الغاء القرارات والأنظمة بشأن ادارة البدو ومعاملتهم التي أصدرها الفرنسيون في عهدهم حينما كانوا مسيطرين مباشرة على العشائر ومبعديهم عن الحكومة السورية . يجب أن تبدل هذه القرارات والأنظمة بما هو أنسب للروح القومية ، وأن توسع حدود المعمورة وتصغر حدود البادية الموضوعة فيها ، وتقلل الغلواء التي أعطوها للبداوة ضد الحضارة . وهذا التبديل قد شرعت فيه الحكومة السورية وصحت عزيمتها على اصدار قرارات جديدة فيه .

١٢ — تخفيف وطأة (القضاء البدوي) أو (الأصول العشائري) حيث يترافع البدو ويتحاكمون أمام بعض الشيوخ والقضاة منهم ، لأنه حكم جاهلي فيه كثير من الشوائب والبعد عن المنطق كمؤاخذة الأقارب حتى الجد الخامس بجريمة قريبهم الجاني ، واعتبارهم مدانين بقبول أخذ الثأر منهم ودفع الدية . وفيما يتعلق باستحصال الحقوق عن طريق ما يدعونه (الوسقة) ممن لا ناقة له في الأمر ولا جمل ، وفي اجحافه بحقوق النساء وحرمان المرأة من نصيبها الشرعي في الارث، وفي تزويج البنت البكر البالغة من أي رجل اختاره لها أبوها أو وليها بدون أخذ رأيها . وغير ذلك مما يجب نبذه وسوق العشائر نحو الاحكام

الشرعية والقوانين المدنية التي فيها عدل وروية أكثر من أحكامهم وقوانينهم الشاذة ، وان ادعوا انها أنسب لحالتهم وعقليتهم .

هذا ما سمح به الوقت القصير المحدد لهذه المحاضرة المختصرة فعسى هذه الأماني الاثنا عشر من الخدمات الاجتماعية التي ذكرتها تبلغ مسامع المسؤولين عن أمور البادية والبدو فيعنوا بها وينفذوها ويكون مؤتمركم هذا قد سعى سعيه الانساني ، والساعي الى الخير كفاعله .

وصفي زكريا مهندس

[المقتطف] — لهذه المحاضرة فائدة إنشائية عظيمة إذا كانت الحكومة السورية واللبنانية أيضاً تهتمان بشؤون هؤلاء البدو على النحو الذي أشار به المهندس الزراعي السيد وصفي زكريا . فعسى أن تلتفت الى المشروع الحكومة والبرلمان .

العلاج بهرمون « أتش »

أتى العلاج بهرمون « اتش » الذي هو مختصر هرمون ادرينو كورتيكوتروفيك Adrino cortico Trophic Hormon بنتائج عجيبة .

وبعض علماء الطب يتكلمون عنه بقولهم « قصة الجيل الطبية ». وقد وقف الأطباء الواحد بعد الآخر في اجتماع في كلية الجراحة الأميركية يقصون اختباراتهم العجيبة في مرضاهم الذين عالجوهم بهذا العقار الجديد العجيب

فهو ناجح في وجع المفاصل والنقرس والحمى الروماتزمية وأمراض العضلات الواهنة وفي التهاب المعى الغليظ المتقرّح وفي مرض السكر المفاجىء المسمى جيبوجليسيميا وبعض أمراض الجلد وفي عواقب التسمم بالكحول (الخمر)

وظهر أنه لا يفيد في السل وضغط الدم العالي وتصلب الشرايين وادواء أخرى . وأما في السرطان وبعض الأمراض التي تمت بصلة للسرطان فلا يزال نفعه تحت النظر .

ويقال أن مقدرة « اتش » المدهشة ستوجه النظر الى عهد جديد في الطب .

من ذكريات الصبى

كفَّ اللحاظ عن المحب الواله   يكفيك ما قطعت من أوصاله
إن كان هذا فعلَ فاترِها فما   هو فعلُ باترها بعنق وصاله
من لي ببدر مؤنس ٍ بسنائه   يوماً ويوماً موئس ٍ بجلاله
ما ان تصبَّاني ببدع جماله   حتى تصدَّى لي بفن دلاله
لما تجنّيه أعلَّ تصبري   أضحى صحيحُ الحب في اعلاله
باهى شقيقَ الخدِّ لؤلؤُ ثغره   فغدا يباهيه بعنبر خاله
ما الندُّ الاَّ صدغه وجبينه   فبنونه طيب يفوح وداله
أفديه من قاس يُسهِّدني جوى   ضنًّا على روحي بوصل خياله
لا تحسبنَّ شقاءه بدموعه   فشفاء قرح الجفن في تهطاله
بدلاله أحيا محالَ وصاله   وصبابتي قتلت حياةَ محاله
وإذا نواه أضلَّ قلبي ساعةً   عنه هداه شوقه بضلاله
لله من رشإٍ يجازي بالجفا   حبي ويُطمع عاذلي بوصاله
إن كان في كيدي رضاك رضيتُه   أو في موالاة العذول فواله
يا من يلذ له فناء محبه   لا تنخدع بسقامه وهزاله
يفنى فداك ، وإنما ايمانه   بهواك يستهويك بعد زواله
مضناك حتى العاذلون رثوا له   يا حبذا لو كنت من عذاله
يرضى قتيلك إذ تؤبنه بقو   لك مرةً اني علمتُ بحاله
يكفيك يا نفسي نعيماً لو قضى   الوطرَ الحبيبُ بأن ألوحَ بباله
والله لولا الحب لم يكُ لي الخلو   دِ مزية الاَّ عذابَ ملاله

ن . ح

القنبلة الهيدروجينية

ان ما ورد مع بعض المجلات الأميركية عن القنبلة الهيدروجينية لا يروي غليلاً بل يشعل فتيلاً للخوف من هذا العزرائيل الجديد. والذي فهمناه أن مهندسي الذرة من علماء هذا الزمان اهتدوا الى «تصميم» لهذه القنبلة التي تزلزل الأرض، وتبعث بالأرواح الى الأبدية. ولم يُقَل ان كانوا قد جربوها. وإنما تأكدوا إنهم صنعوها وفي وسعهم أن يصنعوا منها عدداً كبيراً. وإنما ينتظرون كلمة من ترومان ان يقول لهم اعملوها فيعملوها. فعندهم الأدوات والآلات والمواد اللازمة لصنعها. وإنما الى الآن لم يظفروا بالأمر لصنعها.

ويجب أن يعلموا أن الروس أيضاً يعرفون كيف يصنعونها، ولسوف يصنعونها، ولكن متى وفي أي ظرف يفعلون. فلا يعلم العلماء والساسة ان بعض الناس يرجون من الرئيس أن يضع هذا الأمر على الرف. وبعضهم يرجون أن تتفق أميركا مع روسيا بشأن القنبلة الهيدروجينية، ومنهم ليلينتال الساعي الى التفاهم مع روسيا قبل أن تصنع روسيا القنبلة

وفي رأي بعضهم أن فكرة رفض اصطناع القنبلة سخافة انتحارية، ما هي إلا عقيدة فكرة احتكار الولايات المتحدة صنع القنبلة. ولذلك يرتئي بعضهم أنه على الولايات المتحدة أن تصنع حالاً عدداً منها أو يجب على أميركا أن تلح في جعل امتلاك جميع أصناف القنابل الذرية دولية.

ولكن لم يظهر في المفاوضات الذرية أن الروس يريدون أن يجعل سلاح الذرّة شائعاً تحرزه أية أمة. بل هناك أدلة على أنها تريد أن تصنع القنابل وتحرزها وتستعملها في الوقت المناسب. ولكن في رأي نهرو رئيس حكومة الهند ورأي آتشيسون وزير خارجية أميركا انه من العبث استعمال أي سلاح في حين أنه لا أحد يضمن أنه سيربح الحرب. لذلك أفضل سياسة الآن هي التفاهم والمصالحة. وإلاّ فانسان اليوم الذي بلغ الذروة في المعرفة بلغ الذروة أيضاً في الجنون.

نأتي الآن الى كيفية صنع هذه القنبلة الهيدروجينية وانفجارها الذي يساوي الف ضعف القنبلة الذرية التي نسفت هيروشيما وأطاحت مئة وثلاثين الف نفس مرّة واحدة.

الطاقة الشمسية التي هي علة حياة الانسان على الأرض، بل علة كل حياة للنبات والحيوان، هي التي اذا انفجرت دفعة واحدة قتلت الانسان والحيوان والنبات.

القنبلة الذرية « الهيروشيميـة » انفجرت بتفكك أجزاء ذرّة اليورانيوم كما علمنا، ولـكن القنبلة الهيدروجينية تنفجر بالعكس ، أي بالتئام أجزاء ذرات الهيـدروجين حتى يتألف منها ذرات هيليوم .

ذرة الهيدروجين أبسط الذرات وأخفهنّ . فهي المعيار الذي توزن به سائر الذرات ، قل هي الدرهم الذري . فذرّة اليورانيوم تزن ٢٣٥ درهماً ، أي إنها تساوي ٢٣٥ ذرّة هيدروجن . وبالاصطلاح الالكتروني : في ذرّة الهيدروجن بروتون واحد والـكترون واحـد . وأما ذرّة اليورانيوم ففيها ٩٢ بروتون و ١٩٢ الـكترون و ١٤٣ نيوترون . لا يحسب حساب الالـكترونات لأنها خفيفة جدًّا : كل ١٨٤٠ الـكترون تساوي بروتوناً واحداً . فمتى انفجرت ذرّة اليورانيوم يعني متى انشقت ، نتج منهـا ذرّة أنديوم وذرّة تنك . وبهذا الانشقاق يصدر منها طاقة تنتشر في الفضـاء فوتونات (ضويئات) حرارة ونور هكذا : — ذرّة الانديوم تزن ١١٥ وزنة .

« التنك « ١١٩ «

٢٢٤

طاقة « ١

٢٣٥ وهو وزن اليورانيوم

وهذه الطاقة تصدر بشكل حرارة ونور . فتصوّر ان في القنبلة بلايين بلايين الذرات ثم انفجرت مرّة واحدة فتلمع الطاقة في الفضاء لمعاناً كلمعان الشمس وحرارة كحرارة الشمس وكلاهما يفعلان ضغطاً هائلاً يدك الجبال — هذا هو فعل قنبلة اليورانيوم — هو عمل تفكيك

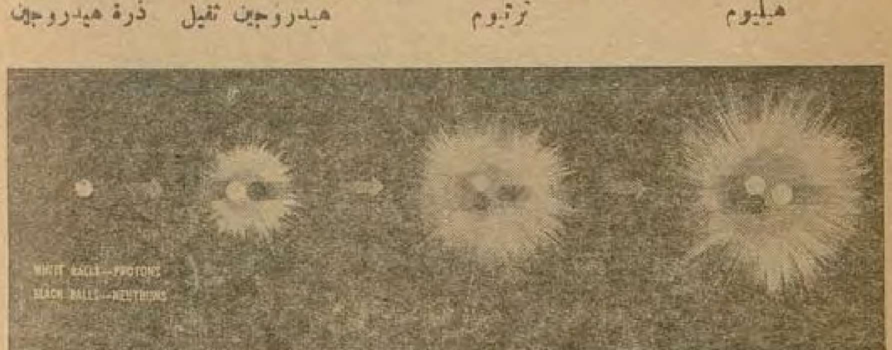

الكرة البيضاء هي بروتون والسوداء هي نيوترون

وأما قنبلة الهيدروجن فبالعكس هو عمل تركيب، هو صهر ملايين ذرات الهيدروجن وتحويلها الى ذرات هيليوم هكذا كما ترى في الرسم .

ذرة هيدروجن تشتمل على بروتون واحد (والكترون واحد . دعنا منه لا شأن له هنا) فاذا طرأ على ذرة الهيدروجين نيوترون واحد نشأ منهما الهيدروجين الثقيل (الذي يتألف منه الماء الثقيل) وإذا طرأ أيضاً نيوترون آخر تألف من المجموعة عنصر سموه تريتيوم Tritium فاذا انضم للمجموعة ذرَّة هيدروجين أخرى تألف منها ذرة هيليوم كما ترى في الرسم

يحدث في الشمس مثل هذا أيضاً . أي انه في الشمس تنصهر ذرَّات الهيدروجين الخفيفة فتتحوَّل الى ذرَّات هيليوم الثقيلة (٤ أثقال الهيدروجين) . وفي خلال ذلك تفلت الطاقة (فوتونات) وهي تحدث من إطباق بروتون على إلكترون في أثناء هذا التحوُّل ، فينشأ الفوتون وهو الطاقة ، لأن البروتون كهرب موجب ، والالكترون كهرب سالب ، فمتى تطابقا تنافيا ، فيصدر الفوتون وهو غير مكهرب ، هو طاقة فقط ، أي متعادل ، متحايد ، والنيوترون هو متعادل ، محايد أيضاً . ولكنه بوزن البروتون .

من أين جاء النيوترون :

هم اخترعوا أولاً قنبلة A-Bomb ولم نسمع قبلاً بخبر هذه القنبلة . يضعون هذه في أنبوبة أو جوف سهم مملوء بغاز الهيدروجين الثقيل (وهم يصنعونه صنعاً) أو بالماء الثقيل يصنعونه من الهيدروجين الثقيل . ولكي يحدث الانفجار والتحوُّل يجب أن يكون تحت حرارة كحرارة الشمس وضغط شديد . وقنبلة A-Bomb هي كفيلة بإيجاد هذه الحرارة الهائلة حين يقذف السهم . لأن هذه القنبلة حين تنفجر تولد حرارة كحرارة قلب الشمس (٤٠ مليون درجة من مقياس سنتغراد) وهذه الحرارة كفيلة بصهر ذرَّات الهيدروجين وتحويلها إلى ذرات هيليوم ، وانتاج حرارة أشد من حرارة الشمس .

قنبلة الهيدروجين (تُصدر طاقة تساوي ٨ أضعاف قنبلة اليورانيوم) . ولما كان ممكناً أن نصنع هذه القنبلة بالقدر الذي يرام ، خلافاً لقنبلة اليورانيوم التي تحدد لها قدر لا تتعدَّاه ، فصار ممكناً أن تصنع بمقدار ألف أو ألوف أضعاف تلك ، وبالتالي يكون فعلها ألوف أضعاف تلك .

يقولون . شيطان . فأين الشيطان ؟ أليس هذا الانسان ؟

ضيف من المريخ

قزم كبير الرأس ولكن طوله ٥٧ سنتيمتراً ، كان يسيّر اسطوانة من معدن لا وجود له على الأرض يشبه الألومينيوم، قطرها ١٥ متراً ، يدفعها في الفضاء محركان . كانت طائرةً في سماء المكسيك وقد سقطت في المنطقة الجبلية . وقتل طيارها وأخذت جثته وحُنطت لكي يشرحها الأطباء المكسيكيون ، ويبحثون في مادة هذا المخلوق المجهول . ويقولون أن بعض كبراء المكسيكيين يعتقدون أن هذه الطائرة جاءت من المريخ . وقد سافر بعض كبار الضباط الأميركان الى المكسيك لمعاينتها .

وقد روى هذه القصة للصحفيين السر راي ديميك الكيماوي الخبير بالمفرقعات . ثمّ وردت إلينا هذه الحكاية من لوس انجلوس في كاليفورنيا بالتلغراف في ١٠ مارس . وهي خبر جدير بأن يهتم به المقتطف لأنه من دائرة مباحثه . ولكن ذرّة واحدة من العقل لا تستسيغه بتاتاً ، ولا تستخرجه من منطقة الترهات ، والسخافات ، والخزعبلات . ولذلك نستغرب أن تتداوله شركات الأنباء التلغرافية ، ثم تدفع بعض الصحف ثمنه وتتحف به القراء كأنه لا يزال ينقصهم شيء من الخرافات ليتداولها ناسنا الساذجون لكي تهبط بعقولهم الى حضيض الخلائق البدائية .

والملاحظ أن أمثال هذه السخافة محظوظة بها بلاد المكسيك ، وكانت هذه البلاد كلها موطن الجنّ . فقد ذكر منذ عهد قريب أنه رئي في سماء المكسيك أقراص سابحة في سمائها وقد وقف أحدها في الجوّ برهة طويلة من الزمان .

وقد علقت احدى جرائدنا على هذا الخبر أن المرحوم ولز القصصي المشهور غفر الله له كتب منذ ٤٠ سنة أن الحرب في المستقبل لا تكون بين دول الأرض بل بين سكان الكواكب . ويقول المعلق : — ها أن نبوءات ولز قد تحققت .

وبهذا التعليق البليغ يؤيد المعلق هذا التخريف في عقول الساذجين — ما هكذا ياقوم نعمل دعاية للعلم والحقيقة لكي نرقّي العقول . رحم الله ولز ما خطر له أن بين قرائه عدداً كبيراً حتى من محرري الصحف يعتبرون تخيلاته القصصية حقائق علمية ويتداولونها بين العامة ، وما هي إلاّ سخافات قصصية

العزلة في رأس الجبل

الديمقراطية

٤ — صلة ما انقطع

وبعد أن انتهى صاحبي من قصة القادر على كل شيء

قلتُ : إذاً . أصل الشر في النظام الحالي هو الذي جعل الدينار صاحب السلطة .

قال : بل قل جعل الدينار إلـه العباد وأقام المتمولين كهنة له يتقبلون من الشـعب القرابين والضحايا .

قلتُ : إذاً يجب أن نبحث عن نظام آخر قبل أن نهدم نظام ملـكوت الدينار، فما هو النظام الآخر ؟

قال : لا يخفى عليك ولا على أحد . هو نظام الديموقراطية المطلقة .

قلت : نحن الآن في عصر الديموقراطية منذ أول القرن التاسع عشر او قبله . ولا يزال الدينار سـيداً حتى في أعرق الجمهوريات ديموقراطية كأميركا مثلاً . ويخشى أن تكون الديموقراطية الآن توطئة للدكتاتورية التي هي شرٌّ من الحـكم المطلق . لأن الدكتاتوريات نشأت من الجمهوريات أو الحـكومات الديموقراطية . ألست ترى هكذا ؟

قال مبتسماً ابتسامة الساخر : أنا قلت الديموقراطية المطلقـة . أي الديموقراطية في نظام اقتصادي غير هـذا النظام . فما دامت الديموقراطية ناقصة فالأمر كما تقول . ما دام الدينار صاحب السلطان فهو يحوّل الديموقراطية الى دكتاتورية . هل تحسب الديموقراطيـة الحالية ديموقراطية مطلقة تامة ؟

قلت : أليست الديموقراطية حكومة شعبية . أي أن الشعب يحكم نفسه بنفسه، بحكومة يعينها مجلس نواب ينتخبه الشعب الحرُّ

قال : نعم . ولـكني لا أرى إلاّ أرقاء ينتخبون عبيـداً . وهؤلاء يعينون خدّاماً يخدمون أسياداً أعلين ، هم كهنة الإلـه الدينار . أنما المُنتخِبون عبيد لمن أقامهم الدينار

أسياداً على المرافق والمرتزقات . فهم أدوات تنفذ ارادة الأسياد . والنائب المختار إذن آلة في أيدي هؤلاء الأسياد أيضاً . فالسيد والعبد وعبد العبد كلهم عبيد للدينار الجبار الذي في يده صولجان الاستبداد . والقانون الذي سنّه هؤلاء المختارون النواب ساجد عند قدمي الدينار الجبار . والعدالة تسبّح بمجده . وملائكة السلطة التنفيذية ترنم بسعادته وهنائه . والجمهور يتطلع الى الجالس على العرش يتوقع من نعمته رحمةً

قلت : إذن . لا أمل بالحصول على ديموقراطية مطلقة إلاّ بخلع هذا الدينار الجبار . فما الحيلة ما دام هذا الإله الأرضي قابضاً على الصولجان وفي يده الناخب والمنخوب والحاكم والمحكوم

قال : خذ الحيلة من أفواه حكماء الحيوانات .

جمهورية حيوانات

رووا أن الدجاجة قالت للحدأة ذات يوم : بالله تعلّميني التحليق في الجو مثلك لكي أسلم من غزو الثعالب وبنات آوى . فإنها كل يوم تسطو علينا وتروعنا وتخطف منا ما تستطيع حمله .

فقالت الحدأة : ليس الطيران علماً يا عزيزتي ، وإنما هو جناحان طويلان عريضان . وأنتنّ طائفة الدجاج فقدتنّ طول الجناحين وعرضهما منذ اعتمدتنّ في رزقكنّ على الإنسان . على أني أرى أن حيلة « فرّق تسد » قد تنقذكنّ أحياناً من أنياب الثعالب والذئاب

قالت الدجاجة : ما هي حيلة « فرّق تسد »

قالت الحدأة : سأعملها أنا وأريك

ومضت الحدأة ورأت ذئباً . فسألته كيف الحال يا صاحب ؟

فقال جوعٌ ولا شبع . وتعبٌ ولا راحة . أقضي الليل بعد النهار في السعي وراء دجاجة أو بطة . حتى إذا ظفرت بها اضطررت أن أقدمها الى الأسد الملك لكي يمنحني منها ولو عظمة وإلاّ فيسحقني سحقاً

فقالت : إن ملككم طماع ظالم طاغ فلماذا لا تخلعونه وتؤلفون منكم جمهورية

تقسم الرزق بينكم بالعدل ، فلا يذهب الجانب الأكبر منه الى الملك ووزيره وأعوانه وهم لا يسعون اليه ، ولا يتعبون في تحصيله .

فقال الذئب : والله إنها لفكرة حسنة . ولكن كيف نستطيع خلعه وهو قويٌّ وله أعوانٌ ؟

فقالت : أقوى أعوانه النمر وزيره الأول . عِدوا النمر برئاسة الجمهورية . فينفصل عنه ويعاونكم على خلعه

قال : والله إنَّ لك لحكمة الفلاسفة . سنفعل

ومضت الحدأة . فرأت النمر : السلام عليك أيها الوزير الكبير . كيف الحال ؟

قال : والله . ان الرعية كسولٌ ، فقلَّ المورد

قالت : قلَّ المورد لأن الملك لا ينصف الرعية لكي تشبع وتقوى على الصيد

فقال : صدقت . إنه شديد الطمع عديم الشبع . يحرم الشعب حتى الوزراء أحياناً .

فقالت الحدأة : أنت أولى منه وأجدر أيها النمر . لأنك أشد اعتدالاً وأكثر عدلاً . فلماذا لا تخلعونه وتتولى الحكم أنت ؟

قال — كيف نستطيع وهو يجند كل الرعية للدفاع عنه .

فقربت الحدأة منه وهمست في أذنه . الكلام بسرك ان الرعية ضاق ذرعها به، وأظنها تتآمر الآن عليه بخلعه وانشاء جمهورية تقسم الرزق بالعدل . فاقبل نصحي وترأس المؤامرة تكن رئيس الجمهورية . ثم دكتاتوراً . ثمَّ ملكاً مطلق السلطان فاذا عدلت بقي الصولجان لك .

* * *

وما هي إلاَّ أيام معدودة حتى تمَّت المؤامرة وتألفت الجمهورية سرًّا . وما درى الأسد إلاَّ وقد دخل اليه في عرينه وفدٌ من الفهود والضباع والذئاب ، وأبلغوه أن حكومة الشعب الجمهورية قد قررت خلعه لشدة ظلمه . وانه سيبقى أسيراً في عرينه والسلاسل في يديه ورجليه ، ويُقدَّم له كل يوم نصف فخذ معزاة .

فقال الملك الأسد : أين النمر ؟ لا أراه معكم في وفدكم . لقد أبدلتم بملككم وزيره ،

لسوف ترون ما اذا كانت جمهوريتكم الزائفة أعدل من ملككم . أما الحكم الذي حكمتموه عليَّ فلا قِبَل لكم على تنفيذه لأن اخواني الأسود سيأتون لانقاذي . فاذا تركتموني أروح الى منطقة أخرى بعيدة عنكم ضمنتم الأمن لكم .

— كيف نضمن إنك لا تخوننا ولا تغدر بنا ؟

— أعاهدكم بالشرف الملوكاني . أنتم الآن عصبة فلماذا تخافون مني ؟

— قالوا : أكتب لنا ميثاق الأمان بيننا وبينك

فكتب الميثاق ، وانطلق الى غابة بعيدة .

* * *

ما انقضت برهةٌ طويلةٌ على الجمهورية حتى صار النمر دكتاتوراً أشد ظلماً من الأسد الملك . فكان يفرض على الذئاب والضباع والثعالب وبنات آوى قدراً معدوداً من الدجاج والنعاج والمعاز . فاذا لم يؤدُّوا هذه الأتاوة عاقبهم عقاباً شديداً .

حينئذٍ اعتصبت الوحوش وامتنعت عن الصيد والغزو والسطو . فقال النمر الدكتاتور : اذا امتنعتم عن الصيد أيها الأغبياء . فماذا تأكلون ؟

قالوا : نأكل العنب والقثاء والخيار وسائر الفاكهة لأننا نباتيون كما أننا أكلة لحوم . وأما أنتم النمرة والفهود فلا تعيشون من غير لحم ودم . فموتوا جوعاً .

ومضت مدة كانت أكنان الدجاج وحظائر الأغنام في أمن من غزوات الوحوش . وأما النمر فاستعان بالفهود لتأديب تلك الوحوش وارغامها على العمل حتى ضاقت ذرعاً بهِ .

وندمت الوحوش لخلعها الأسد لأن النمر جاءَ بعده أشد طغياناً وأكثر عسفاً وظلماً . واجتمعت في مؤتمر سرّي وبحثت في الأمر وقرَّرت ارسال وفد الى الأسد لكي يستسمح منه ويستعطفهُ عسى أن يعود الى عرشهِ .

ولما مثل الوفد بين يدي الأسد يستعطفهُ ، قال الأسد : لن أعود إلاّ اذا خلعتم النمر كما خلعتموني ، وجئتم كلكم اليَّ تبايعونني وتحلفون يمين الطاعة لي .

فعاد الوفد حزيناً لأنه رأى أن عودة الأسد الى عرشه ستكون نقمة أشد وطأة عليهم

* * *

وفيما الوفد عائد بخفي حنين صادف فيلاً فقال أحدهم : لماذا لا نضع صولجان الملك في يد هذا الفيل . فهو أقوى من الأسد والنمر ، وهو لا يفرض إتاوةً علينا، لأنه لا يأكل لحوماً .

فاستوقفوه وعرضوا الأمر عليه . فضحك وقال : أتظنون إنكم فيما تبحثون عن سيد يحكمكم تنفضون عن رقابكم نير العبودية ؟ الأحرار لا يفتشون عن سيد .

قالوا : نريد ملكاً ديموقراطيـاً .

فقهقه وقال : الملكية المطلقة والديموقراطية لا تجتمعان . إما هذه أو تلك .

قالوا : ماذا تفعلون أنتم أيها الفيلة في نظامكم السياسي .

قال : نحن جمهورية بحتة .

قالوا : إذاً ، بربك تعالَ كن عندنا رئيس جمهورية

فأمعن الفيل في القهقهة وقال : لا تصلح الجمهورية لكم ولا أنتم تصلحون لها .

قالوا : كيف يمكن أن نصلح لها وهي تصلح لنا ؟

قال : تصلحون لها إذا صرتم كلكم أسوداً بحيث يصلح أي فرد منكم رئيساً للجمهورية. نحن كلنا أفيال، وأي فرد منا يصلح أن يكون زعيماً يمشي أمامنا، فنسير وراءه كتلة واحدة. وأما أنتم فلا تجانس بينكم ، بل أنتم من جنسيات مختلفة . أسد وفهد ودب ونمر وذئب وضبع وثعلب وابن آوى الخ : متفاوتون في القوة والشهوة والطمع . القوي فيكم يأكل الضعيف منكم . فلا يصلح لكم إلاّ الحكم الملكي المطلق بحيث يكون الأقوياء فيكم أسياداً لكم، وأنتم عبيد لهم . تتعبون وتشقون وهم يتمتعون بجني تعبكم ، وأنتم تقنعون بما يبقى لكم من الفضلات. كونوا جميعكم أسوداً فتتعادل قواكم وشهواتكم، وتتساوى حصصكم في أرزاقكم ، وإلا فالأقوياء أسياد ، والضعفاء عبيد . هذه سنة الطبيعة ، فعبثاً تحاولون أن تتمرّدوا عليها .

فعاد أفراد الوفد يضربون أخماساً بأسداس ، وهم يفكرون بفلسفة الفيل الحكيم . وما أن رووا الخبر بتفاصيله لاخوانهم في المؤتمر حتى باغتهم «طابور» من الأسود يضرب نطاقاً حول مؤتمرهم . ثم أعلن قائد الطابور أن الأسود قد رأت أن سيادة المملكة في

تلك المنطقة تتوقف على الحكم الجمهوري العادل . فألف الأسود جمهوريتهم . وقررت هذه الجمهورية أن تسوس المملكة . وان تدرب سائر الوحوش في العمل تدريباً نظامياً يكفل لهم الرزق بحسب ما يفرض عليهم من العمل . وليفهم الوحوش ومن جملتهم النمرة انهم جميعاً عبيد لجمهورية الأسود، وعليهم الطاعة المطلقة .

عند ذلك انبرى الفهد وتقدم الى الأسد رئيس الجمهورية ورفع يده بورقة وقال . هل نسي الرئيس هذا الميثاق الملوكاني ؟

فقال الأسد : هذه قصاصة ورق . وقد مزقتها فلسفة مستشاركم الفيل .

***

قال صاحبي : هذه حكاية جمهورية الحيوانات .

... هذه مملكة الحيوانات عرفت الديموقراطية الحقيقية التي لا تفشل، ونحن لم نعرفها، فلكي تنجح الديموقراطية الانسانية يجب أن يكون جميع أفراد الأمة أسوداً أو فيلة ، أي متجانسين في المعرفة والأخلاق والعقل على الأقل .

قلت : هذا أمرٌ يكاد يستحيل حدوثه . كيف يمكن أن يتحول الثعلب والضبع والذئب الخ الى أسود ؟ وكيف يترقى الناس الى درجة واحدة من الرقي ؟

قال : إن الثعلب الذي لا يرتقي الى أسد يهلك ، وهكذا دواليك . كذلك الأمر في الناس من لا يرق الى المستوى يبد . وعملية التطهير هذه جارية في بعض الجمهوريات كالولايات المتحدة الأميركية مثلاً حيث أفراد الشعب أكثر تقارباً فيما بينهم في المعرفة والأخلاق من أفراد الجمهوريات الأخرى . وعلى التمادي يتساوون .

قلت : ولكن على الرغم من ذلك لا يزال الدينار الجبار إلهاً أقوى جبروتاً في أميركا (بلاد الأولميتي دولار) وفي غيرها من البلاد الجمهورية . ولذلك سيبقى الناس هناك عبيداً وأسياداً وأسياد أسياد .

قال : متى صاروا كلهم أو معظمهم أسوداً في العرفان والأخلاق استطاعوا أن يخلعوا ذلك الاله الدينار الجبار عن كرسي السؤدد، وحينئذٍ يستتمون الديموقراطية السياسية بالديموقراطية الاقتصادية ، وهي الديموقراطية المطلقة التي نوهت بها في أول هذا البحث .

ويصبح الدينار الجبار أحد أفراد الرعية لا حول له ولا طول الا بقدر ما يمكنه أن يمتع حامله برفاهية الحياة .

وبقيت أفكر برهة وهو صامت . ثم قلت : إن المسألة تكاد تنحصر في لفظة واحدة: الحرية . أرى ان الحرية هي مفتاح الخلاص من عقال الدينار الجبار . بها النجاة من العبودية لهذا الاله — الحرية في الانتخاب وفي كل شيء .

قال : بالطبع ، إذا قامت الحرية سقطت العبودية .

قلت : إذاً لا بدّ من دك سجن الباستيل لاطلاق الحرية .

* * *

وإذ ذاك رأى المكاري قادماً . فقال اسمح لي الآن أن استقبل المكاري الذي رأيته أمس لأرى ماذا جاء به لي .

وذهب واستقبل المكاري وتسلم منه خرجاً ، ورأيته يأخذ من الخرج كتاباً وبعض جرائد ، و « بقجة » الله أعلم ما فيها ، وخطاباً .

ورأيتهُ قد فضّ الخطاب وجعل يقرأه وهو يتجهم ، وما انتهى منه حتى اتضحت في وجهه أمائر الاستياء . ثم دخل الى الغرفة . وأودع فيها تلك الأشياء . ثم مضى بالمكاري الى مخزن الحاصلات وزوّده ببعض ما فيها وصرفه في سبيله .

وعاد اليّ وقد بدا عليه شيءٌ قليل من القلق فقلت : خيرٌ ان شاء الله . عسى أن يكون بريدك قاضياً لحاجاتك .

فتعمّل الابتسام وقال : أجل أن بريدي يحمل لي أكثر من حاجاتي :

قلت : وعسى أن تكون الأخبار سارّة .

قال : إني أقرأ الجرائد في أوقات الفراغ ، فلست الآن في عجلة للاطلاع على سخافات البشر . هل تريد أن تطلع عليها الآن ؟

قلت : ان قراءة الجرائد أمر لا يفوت أوانه . وإنما عشرتك هي الأمر الذي أخاف ان يفوتني ، فلا أريد أن أضيع وقتاً في قراءة السخافات (قلتها ضاحكاً) .

قال : إنك تترجم مثل ما في ضميري . عشرتك الآن مغنم لي .

وفي العدد القادم حديثهما عن الحرية .

ماذا كان في العزلة

ما خطر لي أن يُفهم من مقالات « العزلة في رأس الجبل » ان الشخصيتين المذكورتين فيها تنسبان الى شخصين حقيقيين معروفين . فقد كتب لي أديب يسمي هذين الشخصيتين ويحاول أن يطبق الحوادث التي سردت في المقالات عليهما ، فيجد أنها في بعض الأحوال غير مطابقة للواقع ، ويود أن تعدل وتنقح .

ولعلَّ هذه المظنَّة قد طرأت على قارىء آخر ، أو قرَّاء آخرين . فأستغرب أن يلوح لبعض القراء ان الحديث القصصي لا بدَّ أن يكون لشخص فيه وجود حقيقي ، في حين أنه معلوم أن أشخاص القصص والروايات خيالية . وليس الغرض من الروايات أشخاصها ، بل المقصود المغازي المضمرة والظاهرة فيها . وأنا روائي ، ولي روايات عدَّة ، وفيها أشخاص عديدون . فلا أقصد أشخاصاً معينين ، لكي أجعل أخلاقهم وسلوكهم وتصرفاتهم موضوع كلامي .

ولذلك أرجو من هذا الأديب ومن غيره ، ان يعلم ان الناسك الذي في مقالات العزلة . هو أنا ، والصحفي الذي زار الناسك ، هو أنا ، وكل رجل أو امرأة يظهر في هذه المقالات هو أنا .

* * *

وقد ورد لي خطاب من قارىء آخر يسألني من هو كاتب مقالات العزلة . فهو يود أن يعلق عليها ، ولكنه قد لا يفعل الاّ إذا علم من هو كاتبها .

ولهذا الأديب المحترم أقول أيضاً : هل من غرابة أن أكون أنا كاتبها ؟ وهل ما يمنعه أن ينتقد إذا كنت أنا كاتبها إذا كان يريد النقد ؟

وبهذه المناسبة أود أن أبلغ القراء الكرام أن كل ما ينشر في المقتطف من غير توقيع هو لي ، وما ليس لي فموقع باسم كاتبه .

نقولا الحداد
رئيس تحرير المقتطف

منابع النيل (١)

حسب عقيدة قدماء المصريين وتقاليدهم

قليل من المصريين من يعبأ بالنيل من الناحية العلمية وبمعرفة تطوّراته ، بحسب النظامات الحكومية التي طرأت عليه لمناسبات تحسين الري وحسن التصريف في كميات الفيضان ، وقل أن تجد ، حتى عند ذوي الاطلاع ، معلومات تدل على اهتمام القوم بهذا النهر الذي هو مصدر الثروة وينبوع الحياة ، بل ان أغلب الأمة لمصرية لا تذكر شيئاً عن النيل إلا في أوان التحاريق بمناسبة التشديدات التي تتخذها مصلحة الري في وضع المناوبات واحتياجهم إلى تلقي الأخبار المنبئة عن بدء الفيضان . وهذا هو منتهى اهتمام الزراع وأرباب الأطيان الواسعة . وأما أغلبية الطبقات من الأمة حتى المشتغلين بالعلوم العامّة في المدارس بأنواعها وطبقات الصناع والتجار ، فلا يحسبون للنيل حساباً ، ولا يعتنون بشيء من أخباره إلا في مقتضيات محدودة من الزمن مثل حفلة وفاء النيل (رقم ١) وباقي الأعياد المتداخلة في أشهر الفيضان عند بعض الطوائف ، فاذا انقضت هذه المدة ، أغفلوا النيل جانباً ، كأنهم ليسوا من سكان واديه أو من القاطنين في أراضيه التي كرّمها الله بالخصب والرغد ، وجعله لها مصدر السعادة ومهاد الثروة .

خصّ كثير من المؤرخين النيل بمباحث مطوّلة عن البعثات التي كُلّفت باكتشاف ينابيعه وطرق سريانه في الأودية ، ووسائل الانتفاع به ، وما تحويه مسالكه من المعادن والأتربة ذات الخواص . وهذا المبحث مفيد من الوجهة العلمية التي تقبل المزيد من الوضوح كلما تقدم العقل في ارتقائه العرفاني . ووصوله إلى حقائق لم تكن معلومة من قبل

---

(١) بمناسبة مرور مائة سنة على تاريخ اكتشاف « منابع النيل » ننشر المقال التالي القيم للعلامة الاستاذ انطون زكري الثقة بعلم الآثار المصرية وأمين مكتبة المتحف المصري سابقاً

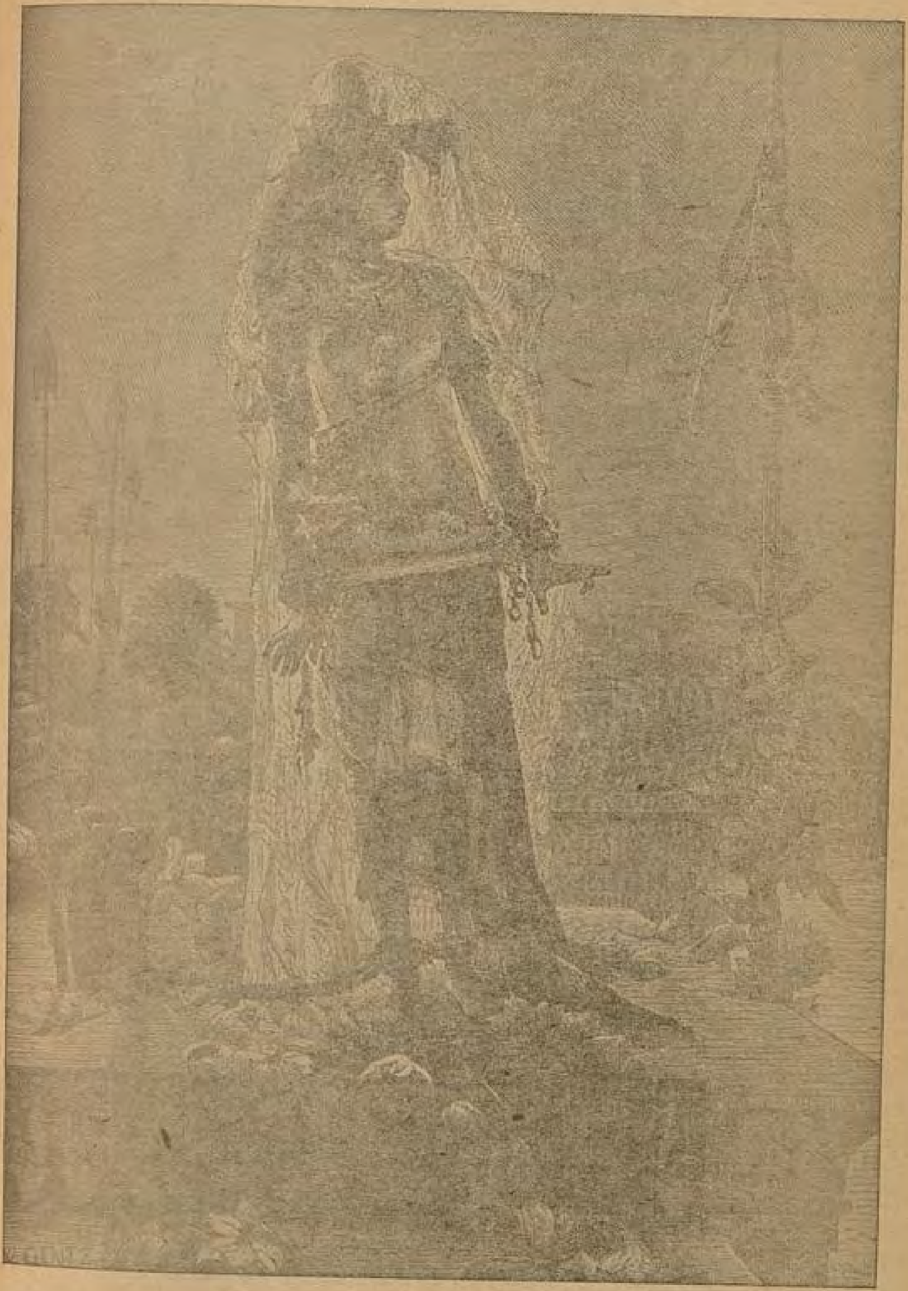

رقم ١ — عروس النيل حسب قول عمرو بن العاص

وغرضنا البحث الآن عما كان للنيل من المزايا الخاصّة المترتبة على عقائد وتقاليد

نداولهـا قدماء المصريين حسب اعتقادهم . فمن ذلك ما قاله هيرودوت (رسم رقم ٢) إنما مصر هدية من هدايا النيل (رسم رقم ٣) ، وكلمته هذه الصغيرة تشمل وادي النيل بأسره لأن النيل كشريان الحياة بفيضاناته الدورية التي يعبر عنها في أقاليم الصعيد بلفظة « دميرة »

رقم ٢ — رسم لهيرودوت أب للتاريخ

والبداهة ترشدنا إلى أن مجرى النيل . وما يحيط بشواطئه كلها جزء اغتصبته سطوة النيل من مجموعة الأقاليم ، واختص هذا الجزء المغتصب بالمقتضيات الطبيعية من الخصوبة لجاء بحسن الأنبات ، وامتاز بالموقع الثمين ، وأحاسن المجهودات الانسانية التي ابتدع الأهالي طرائقهـا ووسائلها في تقسيم المناطق الى بلدان وحياض وحدائق ، واتخذوا لكل موقع ما يناسبه من الاحتياطات الزراعية ولم يشيدوا المباني في البلاد إلا في أماكن محدودة

من أطرافها ، لتكون مناطق المزارع خالية من عوائق التقسيم والترتيب وحرية الانتفاع ، وليكون أهل كل قرية عوناً بعضهم لبعض في حقوق الجوار والارتفاق ، وصد الطوارىء جرياً على عادة المجاملات التي كانت راسخة في أخلاق المصريين قبل أن يتغلب عليها التقليد الأجنبي الحاضر الذي أفقد النفوس كثيراً من مزايا التعاون والمحبة والاخلاص .

* * *

وكان قدماء المصريين يجلون للنيل احتراماً اعتقادياً لكونه السبب الفعال في صيانة أرواحهم من مهالك القحط والجدب ، وانتشار الفاقة واستحكام الضيق ، إذ كان عوام الناس وخاصتهم مقبلين على الزراعة والاعتناء بها أكثر من كل شيء ، ولم يكن الاعتناء بالصناعات والأحوال الأخرى الأدبية إلاّ في بعض المدائن التي كانت تقوم بالحاجة الكافية لمجموع الأهالي . وبهذا كانت التجارات على جانب من الرواج ، وأولو البراعة في العلوم كانوا على منتهى درجات الاحترام والتوقير ، اعترافاً بفضلهم ، وتشجيعاً لذوي الاستطاعة على أن يحذو النجباء حذوهم في فضلهم ومعارفهم ، وكانوا

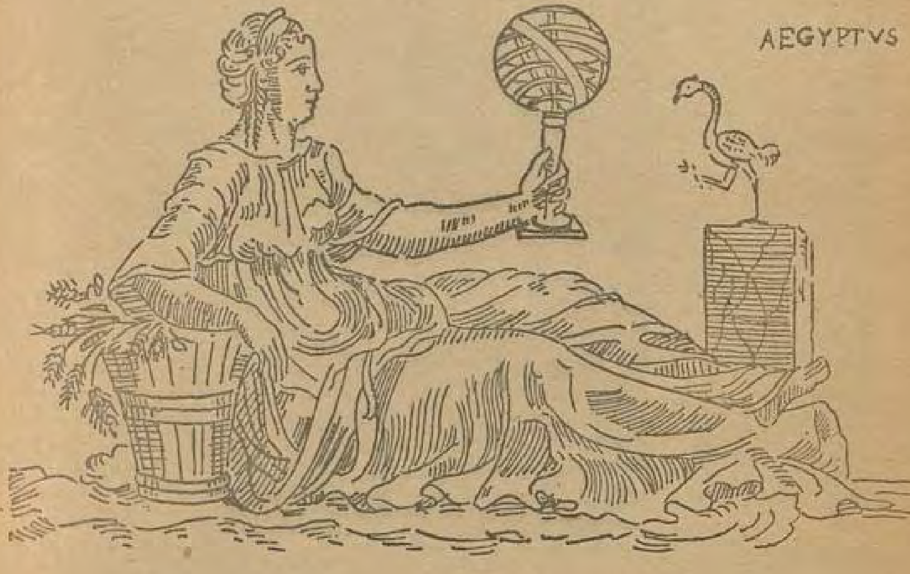

رقم ٣ — مصر هدية من النيل حسب وصف هيرودوت

يقدمون للنيل بعض اعتبارات كالعبادة ويسمونه (حعبي) رقم (٤) أي الاله المقدس .

وكانوا يمثلونه بصفته إلهاً مقدساً (حعبي) ويلقبونه إله الخصب والابن المربي على شكل رجل في ريعان الشباب بديناً نشيطاً كرجل مترف غني من العظماء يعلق على تمثاله حلياً في الصدر يشبه صدر المرأة ، وبطنه مطوياً من الشحم ، ونخذاه ثابتتان مستديرتان تشبهان نخذي الغادة الحسناء . وهكذا كان المصريون يمثلون رجالهم الاغنياء العظماء

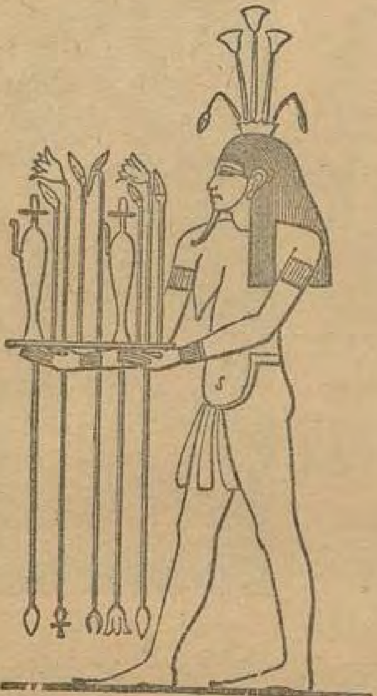

رقم ٤ – الاله حعبي (النيل)

وعدم إلمام المصريين القدماء بمعلومات عن منابع النيل كان شأناً عامًّا ، ولا يعدونه تقصيراً في الوجهة العلمية . وقد لاحظ ذلك المؤرخ الشهير هيرودوت الذي قدم لمصر قاصداً البحث ، وجمع الدلائل في هذا الشأن ، حتى قال : « لم يعرِّفني أحد شيئاً عن منابع النيل » . وأيدت رأيه أنشودة النيل القديمة التي كانوا يترنمون بها في المواسم والأعياد ويعترفون فيها « بأن النيل آت من الظلمات » .

وذكر في كتاب الموتى « أن النيل مولود من « رع » أي الشمس التي هي أكبر الآلهة عند المصريين القدماء . ويقرب من هذا المعنى أنه وجد مكتوباً في ورقة بردية (من ضمن أوراق كتب التحنيط) نص بالمعنى الآتي (في بطاقة عند مقبرة أحد الموتى) :

« انك أيها الراحل في لحد الخلود ، سيفيض عليك النيل في مضجعك الأخير أثراً من بركاته لأن ماءه آت من مدينة «أبو» (أي جزيرة اسوان) وهذا النيل ينفجر من هوته «هذا ، نو» الخارج من ينبوع صخري ، كأن الفيضان يغور من خزائنه ، والمياه تتدفق من ينبوعها

رقم ٥ – رسم لكاتب جميل من الأسرة الرابعة
(والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلى)
نقلاً عن كتاب Guide de Maspero fig. 18

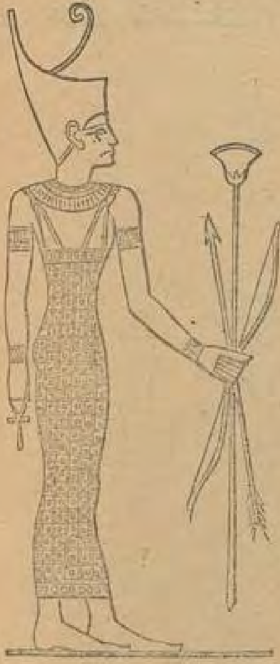

رقم ٦
المعبودة نيت
إلهة مدينة سايس

وقد قال هيرودوت إن أمين (رسم رقم ٥) معبد الآلهة «نيت رقم ٦» بمدينة «سايس» أخبره بأن بين مدينة (سيين) بطيبة ومدينة جزيرة أسوان جبلين أولهما يدعى باللغة المصرية القديمة « كروفي » أي هوته ، والثاني « موفي » أي مياهه ، وبين هذين الجبلين تتفجر منابع النيل من هوة عظيمة ، وينصب الماء منها طبقاً لطبيعة الحواجز الصخرية هناك الى شطرين أحدهما الى مصر في الشمال ، والآخر الى اثيوبيا في الجنوب

وقد اجتهد هيرودوت لما أتى الى مصر بمباحثه العلمية من الوجهة الجغرافية ، وعالج كثيراً من طبقات الكهنة ، فلم يبوحوا له بشيء من معلوماتهم الا فيما يتعلق بعظمته ومكانته الراسخة في النفوس كمعبود يؤدون له فرائض العبادة والاجلال ما استطاعوا ، وخصوصاً

في الأوقات التي حددوها لذلك عند بدئه في الزيادة وبلوغه منتهى الفيضان ، ومبادىء تصريفه في الأقاليم ، ورتبوا على ذلك الاعياد والمواسم الشهيرة التي ما زالت تراعى في الاحتفالات السنوية ترحيباً بوفائه ، وشكراً لما يغدقه على الأرض من نعم الخصوبة والرغد.

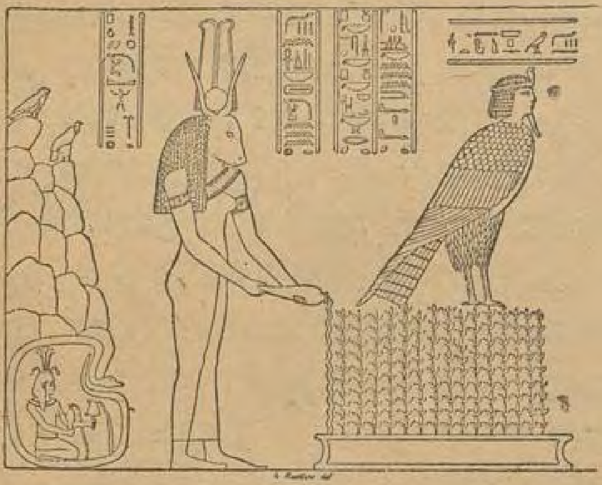

رقم ٧ — النيل في مخبئه وفوق الصخور رسما الصقر والباشق

وقد اكتشفوا في معبد « فيلة » الذي شيده الأمبراطور « تراجان » واحتفظ عليه خلفاؤه من بعده رسماً يمثل لنا الاله «حعبي» (النيل) في مخبئه (رسم رقم ٧) وتفسير هذا الرمز « أنه » يوجد فوق صخور مرتفعة عليها رسما الصقر والباشق، وفي حجرة يرى بداخلها هيكل إلهي لالهرا كع حاملا في يديه آنية تخرج منها فيوضات النيل المباركة ، ويجد الرائي مرسوماً على رأس الحجرة حية ملتفة على نفسها ، وبين رأسها وذنبها منفذ ضيق لمرور النيل ، وهذا الرسم فسره كاهن مدينة « سايس » للمؤرخ هيرودوت بأنه منتهى معلوماتهم عن منابع النيل ، فهو يفيض من عند الله لم تصل استطاعة أمثالهم لاكتشاف أوائله غير ما هو مشاهد للزائرين في أطراف وادي النيل ، ويقصد الكهنة بذلك وقوف الأمة عند هذه النقطة ، وعدم التطلع الى مباحث أخرى

وكان علماء المصريين مع كثرة الرموز العلمية ، وسعة المعلومات المحفوظة في الصدور ، والمرموز إليها في بعض المخلدات الأثرية لايسمحون لمعاصريهم ولا لزائريهم من فجاج الممالك بالتوسع في مباحث عن ينابيع النيل وأوائل مصدر فيضه ، لأنهم يعتقدون أن البحث في ذلك ممنوع دينيًا ، وتعرض المشتغلين به لحلول النقمات التي تنذر بها الكتب المقدسة ، كل من يسعى الى عمل يؤدي الى كفر أو ضلال . وكانوا يعتقدون أن النيل فيض من

البركات الإلٓهية يتنزل من السموات العلى إلى عالم الأرض ، فيكون منها الرغد والسخاء وصلاحيـة الأرض لكل نبات يحتاجه الانسان في أدواره المعاشية ، ولهذا كانوا يسمونه أب الآلهة (أتف نترو) . ولم يلتفت قدماء الباحثـين من المصريين الى أسباب الزيادة في النيل في أزمنة الفيضان ، لاعتقادهم أنه قدسيّ في تكوينه وفي تأثيره وفيما تبصر الخلائق عنه ، لأنه سرّ من فيض البركات الالٓهية ، ، اختصَّ الله بها هذا الوادي السعيد ، وجعله الى الأبد مصدر الرفاهية والسعة والاغداق بأنواع الأرزاق التي تفي باحتياجات قاطنيه ، ويسد العوز لـكل الطبقات التي تأوي إليه ، ويجدون فيه من سجايا أهله حرماً آمناً .

وقد اجتهد علماء المباحث المصرية عن النيل وينابيعه ومصادره العليا مثل هيرودوت وسترابون وديودور الصقلي ، وعلماء الرومان كالمؤرخ بلين وسنيك وغيرهم من الفلاسفة فلم يستطيعوا سوى الوقوف عندما ألقاه إليهم الـكهنة عن عظمة النيـل ، وأن عجائبه ترجع الى قدسية مصدره الالهي ، فاضطروا للإذعان خاضعين لعقائد وتقاليد قدماء المصريين في شأنه ، ولم يتجاوزوا في مباحثه الى ما وراء الشلالات ، والى ذلك أشار هيرودوت بقوله « ان النيل يعرف مبدؤه بعد سفر أربعة أشهر سواء كان ذلك براً أو بحراً ، وهي المدة التي كان يستغرقها المسافر في وصوله الى جزيرة اسوان .

واستمر الناس على الاعتقاد بأن ينابيع النيل مما يعسر على الباحثين حل غوامضه الى عصر الرومان ، فأرسل نيرون بعثة رسمية لاكتشاف هذه المنابع ، فوصلت بعد مستنقعات واسعة الى صخرين تجري فيهما المياه فظنوهما المنابع الأولى للنيل ، وعادوا يتوهمون لأنفسهم الظفر بما لم يستطع غيرهم الوصول اليه .

وقال بلين أن منبع النيل آتٍ من « موريتاني » الواقعة شمال افريقية . وقال سنيك إن منبعه يبتدىء في ضواحي مدينة « فيلة » . وقال المؤرخ « لوكين » إن منبع النيل الحقيقي لم يعرفه أحد في العالم » ووافقه على ذلك المؤرخ « أميان مرسليان » أحد علماء القرن السابع للمسيح ، وإن منتهى ما وصلت اليه الاجتهادات وتجوال البعثات في رحلاتها أن منابعه آتية من بحيرات أفريقية الوسطى . وكان قدماء الباحثين يضربون الأمثال بمعرفة منابع النيل في استحالة الوصول الى غرض يرضي ويقنع الباحثين .

وقال المقريزي في وصف مصر « إن النيل يظهر على الأرض بقرب وادي القمـر بقرب الاستواء » . وقال « جرانفيل » « إن — النيل فردوس أرضي » . ولا تزال هذه العقيدة عند قدماء المصريين رغماً من توالي السنين ، وظهور الاكتشافات العلمية التي تحتم بمقتضاها أن يتحول الناس عن عقائدهم الأولى التي توارثوها في أجيال ماضية .

لغة عالمية

ضرورة لاتحاد الأمم

أشرنا في العدد الماضي من المقتطف الى لغة عالميـة كوسيلة من وسائل اتحاد الأمم في أمة واحدة تحت سيطرة حكومة واحدة . فيحسن بنا أن نذكر شيئاً من فضائل اللغة العالمية

ان اللغة العالمية صارت ضرورة حتمية لجميع الأمم ، لأن سطح الأرض كله أصبح بلداً واحداً ، بل أضيق جداً من بلد واحد ، إذ صار يمكن الطرف الواحد من هـذا البلد العالمي يعرف حوادث الطرف الآخر في بعض الساعة ، بل صار يمكنـه أن يتصل بالطرف الآخر في نفس اللحظة . أصبح طرفا الكرة الأرضية أقرب أحدهما الى الآخر من مصر وأوربا . إذاً كيف يتسنى لأهلهما أن يتفاهموا اذا كانت لغة الشمال غريبة جداً عن لغة الجنوب ، ولغة الغرب أغرب جداً عن لغة الشرق ؟ بل كيف يمكنهم أن يتفاهموا اذا كانت لغاتهم تعد أكثر من ألفي لغة ؟ هل كان بُناة برج بابل حين بلبل الله ألسنتهم أسوأ تفاهماً من سكان الشمال والجنوب ؟

ان انسان هذا العصر اذا لم يحسن الكلام والكتابة ببضع لغات رئيسية يبقى كأنه في بابل ، لا يستطيع أن يبعد عن بلده أكثر من مسير قافلة لئلا يصطدم بقوم لا يفهمهم . ولكي يستطيع أن يحسن الكلام بلغة أو لغتين أو ثلاث غير لغته يجب أن يضيع نصف العمر فضلاً عن المجهود العقلي من حياته عبثاً . لا حاجة به للغة أجنبيـة لولا أنه مضطرّ للتقرب أو للتعامل مع أمم غريبـة ، وأما الآن وهو في بيته يرى نفسه كأنه متغرّب إذ يسمع الراديو بلغات مختلفة ، ويرى مطبوعات بلغات مختلفة قد لا يفهمها .

ان تحصيل لغة أو لغتين أو ثلاثاً يستنفد من أدمغة فتياننا في معاهد العلم نصف قواهم العقلية ، وهو ما يحتاجون اليه في تحصيل العلوم والفنون العملية والنظرية اللازمة للمعايش ، وهي كثيرة في هـذا الوقت جداً ، وستكون في المستقبل القريب أكثر وأكثر . فلماذا يضاع نصف مجهود الفتى والفتاة العقلي فيما لا لزوم له لو كان للعالم لغة واحدة عالمية ؟ ان دارس الطب عندنا يجب أن يعرف الانكليزية والافرنسية على الأقل (وربما الألمانية أيضاً) ما عدا لغة أمه . أليس هذا ضياعاً للزمن والمجهود جزافاً ؟ أليس حراماً ؟

لو كان للعالم لغة واحدة عملية سهلة لاستغنى بها عن هـذا الاعنات العقلي في تحصيل اللغات الأجنبية إذ يمكنه ان يستغني بها وحدها ، حتى عن لغته . واذا تمت أمنيـة العالم

بلغة عالمية واحدة فقد تتلاشى اللغات القومية رويداً من تلقاء نفسها كما تلاشت اللاتينية والآرامية وغيرهما من اللغات القديمة ، إذ يستغني الناس عنها بالتخاطب فيما بينهم بلغة العالم العامة، لأنها تكون أسهل مراساً وأقرب الى القلب والنفس واللسان والأذن كما تتصوَّرها بالغة حدَّ الكمال . ولا بأس أن تصبح بعض اللغات القومية أو معظمها في متحف اللغة مقصورة على حفظ العقائد الدينيـة والأسفار المقدسة ، وتبقى تحفاً في الفنون الأدبيـة الممتازة من شعر ونثر ونحوهما .

وليس مانعاً أن تترجم هذه الى اللغة العالمية . ولا يظنُّ ظانٌّ أن اللغة العالمية المفترضة لا تصلح للشعر . هذا ظنٌّ خاطىء . بل تكون أصلح من اللغات القومية التي تتطوَّر حيناً بعد حين حتى يبعد فرعها عن أصلها وجديدها عن قديمها . وثمَّ لا يصعب عليك أن تفهم شعرها المترجم عن القديم حتى نثرها بل رنَّتها الموسيقية على تمادي الزمن . أما لغة العالم فلا ينقصها شيء من تأدية الروح الشعرية إلاَّ بعض البديع الصنـاعي كالتورية والجناس ونحوهما مما لا حاجة كثيرة له لتحلية الشعر والموسيقى . زد على ذلك إنهـا تكون خالدة وقليلة التطوُّر وعديمة التفرُّع كما كانت اللغات القديمة. ماذا يمنعك ان تنظم بلغة الاسبيرنتو أو الفولابك مثلاً هذا الشعر .

تعجبين من سـقمي صحتي هي العجبُ

لأن هذا المعنى خلوٌ من التلاعب اللفظي — التلاعب كقولك :

فقل لقتيل الحب وفـيت حقه وللمدعي هيهات ماالكَـحَـلُ الكُـحْـلُ

وماذا يمنعك أن تنظم هذا البيت بالاسبيرنتو : —

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

وهو لا يحتاج إلاَّ الألفاظ المؤدية هذه المعاني ، إذ لا صناعة لفظية فيه. قد لا تتعذر إلاَّ ترجمة الاستعارة والتشبيه كقول ابن معتوق :

سفرت فبرقعهـا حجاب جمال وصحت فرنَّحها سلاف دلال

ومع ذلك اعتقد أنه لا تتعذر صياغة هذا المعنى بلغة العالم إذا حاوله أهل الأدب .

فاستنباط لغة علمية وشعرية طبق حاجة العالم اليها بقواعد على قدر ما يستلزمه حسن التعبير من غير التباس أو تعقيد، يجد في جمهور الأمم ترحيباً عظيماً تدق له طبول الفرح والبشائر ، ولا سيما إذا كانت الأقوام حرة في الحرص على لغاتها القومية التي تتعصب لها .

بقي أمر انتقاء اللغة العالمية من اللغات العائشة الآن والمنتشرة ، فهو من الصعوبة بمـكان كبير لسببين : الأول أنه يثير الحسد بين الأقوام ، لأن كل قوم متعصب للغته ،

فيصعب عليه أن تحل لغة قوم آخرين محل لغته . ولكن إذا بقيت لكل قوم لغته الى جنب اللغة الاضافية انتفى المحظور .

الثاني ما من لغة مهما كانت منتشرة الاّ نجدها يعوزها التنقيح الكثير لتسهيلها ، مثال ذلك : اللغة الانكليزية الواسعة الانتشار ، لا بد من مسخها كلية لتبسيطها وجعلها أقرب منالاً حتى ولو بعدت عن أصلها بعداً كلياً . فاذا كان الأمر كذلك فالالتجاء الى لغة مصطنعة كالاسبيرنتو أسهل منالاً لأنها تقضي لبانة العالم بأسهل طريق . وهي قد وُضعت لغرض تسهيل التعبير فيها . فألفاظها منتقاة من أوسع لغات أوربا انتشاراً . وقد وضعت لنحوها قواعد بسيطة خالية من الشواذ والتعقيد بتاتاً ، بحيث يمكنك أن تحفظها في بضعة أيام وأنت آمن الالتباس فيها .

لقد اختبرنا جيداً ألفاظ اللغات التي تعلمناها وتكلمناها وفهمنا عيوبها الكثيرة فيمكننا اجتنابها في اصطناع اللغة العالمية :

أولاً : يجب أن تكون الألفاظ العالمية خلواً من كل سبب للالتباس والابهام بحيث يفهم كل من يعرفها كل ما يقال فيها مهما بعدت لغته القومية عنها .

ثانياً : أن تكون سهلة النطق ولا يتغير فيها شيء في حالة التصريف مع الزمان والمكان والضمائر الخ .

ثالثاً : يجب أن يكون لكل لفظة معنى واحد ، ولكل معنى لفظ واحد خاص به ، ولا يكون فيها ترادف على الاطلاق فيؤمن الالتباس والغموض . وإذا كان هناك معنيان متقاربان فلا ضرورة لوضع كلمة لكل معنى ، كما أن في لغتنا الكأس إذا كانت ملآنة والقدح إذا كان فارغاً . فلكي لا نفعم معجمنا بألوف الكلمات نجعل لكل معنى من هذين كلمة مزدوجة فنقول كأس ملأى ، وكأس فارغة ، فنطرح من ذاكرتنا لفظة قدح ونلغيها من القاموس . قد تقول : ان البلاغة تستلزم الاقتصاد اللفظي أي أن نعبر عن المعنى الواحد بأقل لفظ ممكن . وأنا أقول ان الفصاحة تستلزم الاقتصاد في المجهود العقلي بحيث لا نحمل الذاكرة ألفاظاً يستغنى عنها بالكرم اللفظي . الايضاح العملي يضحي بالاقتصاد في الكلم لأجل تخفيف العناء عن الذاكرة . ألأجل خاطر البلاغة اللفظية تضطرني أن أحفظ في ذهني كلمتي كأس وقدح ، وعندي كلمتا مملوء وفارغ استعملهما مع عشرات الكلمات للتفصيل بين معنى ومعنى بلفظ واحد لكل منهما كالكأس والقدح .

وبدل أن أقول شنقَهُ أو خنقه أو ذبحه أو صرعه أو نحو ذلك ، أقول أماته بالحبل ، أو بالسكين ، أو بالمسدس ، أو باللطم ، فاطرح من القاموس أفعال شنق وخنق وذبح وصرع

وقتل، أيضاً . لأن كلمات الحبل والسكين والمسدس ونحوها نستعملها مع كلمات أخرى .

وإذا كان لكل كلمة معنى واحد فلا أقول تارةً بان إذا ظهر وأخرى بان إذا غاب. أقول ظهر فقط وغاب فقط فلا يلتبس عليَّ المعنى . ولماذا أقول سأل إذا كنت لا تعلم ماذا أعني أأستفهم أم أستعطي ؟ ولماذا أقول حكى إذا كنت لا تعلم هل أعني تكلم أو شابه . فاذا اختصَّ كل لفظ بمعنى واحد، وكل معنى بلفظ واحد ، زالت الالتباسات على الاطلاق .

يمكن اختصار الالفاظ أيضاً بالاشتقاق كما هو الحال بلغتنا العربية . فان الاشتقاق فيها فضيلة لا تحرزها لغة أخرى الاَّ قليلاً . فعندنا مثلاً كتب وكاتب وتكاتبا واستكتب وانكتب ، خمسة معان مختلفة من مادة واحدة ، تحولت من معنى الى معنى بهذا الاشتقاق الذي يمكن أن يستعمل قياسياً لكل فعل أو لأكثر الأفعال حسب المقتضى فيوفر كثيراً من عناء حفظ الأفعال . يكفي أن تعرف فعل كتب فتعرف بقية الأفعال من تلقاء نفسك قياساً على هذه الاشتقاقات .

نأتي الى مسألة النطق فهذه ليست بالعقدة الصعبة إذا كان يعطى لكل مقطع صوت النطق الخاص به، والحرف الدال عليه . وأظن أن العربية تمتاز على كثير من اللغات بهذا الأمر. ولكن في أكثر اللغات الأخرى ولا سيما الانكليزية لا تعرف أن تنطق بكلمة إلاَّ إذا سمعت نطقها من أستاذك، أو من والديك، أو من مواطنيك ، لأن معظم كلماتها تكتب خلاف ما تنطق ولهذا تجد في معجماتها كل كلمة متبوعة بتهجئة نطقها . وهذا من الغرابة بمكان . أما كفاك عناءً أنك لا تحفظ في ذهنك معناها فقط ، بل يجب أن تحفظ أيضاً كيفية نطقها وكيفية تهجئتها ، أي كتابتها ، فكأنك تدرس هذه اللغة ثلاث دراسات.

يحسن أيضاً اهمال الحروف الصعبة اللفظ عند كثير من الأقوام كالعين والغين والحاء والخاء . ولعلَّ في لغات أخرى أيضاً ألفاظاً يتعذر النطق بها . يجب أن تحوي اللغة الأصوات الشائعة والسهلة على اللسان . وهذا الأمر يقتضي دراسة واسعة شاملة .

نأتي لصرف اللغة ، فهذه عقدة إذا كانت ببعض الألفاظ تحتوي على أحرف علة كالواو والياء والألف وعلى الإمالة منها أيضاً. ولا أدري اذا كانت يستغنى عنها . وهي التي تجعل التصريف صعباً . يجب التذكير والتأنيث للعاقلين وغيرهم

المفرد والجمع فقط ولا تثنية . ويجب أن يكون للجمع علامة ملحقة بالمفرد، ولا يكون بتكسير الكلمة كعقد وعقود وحفيد وحَفَدة . يجب أن يصطلح على وضع النعت وضعاً وحداً . أما قبل المنعوت أو بعده . والأصح منطقياً أن يوضع بعده كما في لغتنا

لا يكفي ترتيب الكلمات لمعرفة الفاعل والمفعول والمبتدا والخبر . بل لا بدَّ من علامة

لكل منها دفعاً للالتباس . فهو معلوم أن قولك ضرب زيد عمرو لا تفيد من هو الضارب أو المضروب . ولكن إذا فتحت المضروب وضممت الضارب فلا يعود يهم إن كان هذا سابقاً ذاك أو لاحقه .

ولا أتمادى في هذا البحث لأني لست لغوياً وإنما اللغات التي اصطُنِعت اصطناعاً (ويقال إنها بلغت ٣٠٠ لغة) للغرض الذي نحن فيه قد اجتنبت فيها جميع المشكلات الصرفية والنحوية ووضعت على قواعد بسيطة لا شذوذ فيها . وروعي فيها كل ما يستلزمه نقاء التعبير وفصاحته وسلامته من الالتباس والابهام . ويقال إن لغة الاسبيرنتو هي أفضل ما وضع للتخاطب . ومع ذلك لا بأس من عقد مؤتمر لإعادة النظر فيها وتنقيحها .

والذي أراه أن اللغة العالمية التي يُتَّفق عليها تكون خالدة أو على الأقل لا يطرأ عليها تطوُّر كبير اللهمَّ إلاّ إضافة كلمات تستجد بمقتضى تطوُّر العمران للتعبير عما طرأ من المعاني على الانسانية .

أما معجم هذه اللغة فيجب أن يقسم الى أقسام : الأول منها لا يحتوي أكثر من ألفي كلمة للتعبير عن كل لوازم الحياة العمومية ، مما يكفي للتخاطب والكتابة في الجرائد والكتب العمومية والتاريخية والقصص الخ . وقاموس آخر يحتوي الكلمات العلمية والفنية في الكيمياء ، والتشريح وسائر فروع الطب ، وقاموس يحتوي أسماء النباتات والحيوانات ، وآخر يحتوي أسماء الأدوات الميكانيكية واصطلاحات هذا الفن . الى غير ذلك من القواميس الاختصاصية .

وهذه القواميس لا يلجأ إليها إلاّ ذوو الفنون . وقلما تلزم للجميع من خاصة وعامة بقي أمر آخر وهو الأهم وأعني اتخاذ الوسائل الفعالة لنشر اللغة العالمية . ثم اقناع هيئة الأمم بفرضها على جميع الجامعات والكليات والمدارس لتعليمها . ثم وضع قانون لاستعمالها . وعند ذلك تنتشر بسهولة كلية ولا تمضي بضع سنين حتى تصير لغة العالم ، وثمت تشعر الأمم أنها سهلت المعاملات بينها .

عند ذلك تشعر الأمم أن اتحادها في أمة واحدة تحت سلطة حكومة واحدة عليا قد جاء وقتُه ، وتتنفس الشعوب من تحت كابوس الحرب . عند ذلك تشعر الأمم أيضاً بابتداء عصر السعادة والهناءة — حبذا ذلك العصر

هذا المشروع يقتضي دعاية قوية من كل ناحية . ومن يقوم بهذه الدعاية غير الأمم أنفسها في المجتمعات والأندية والجمعيات والنقابات والمدارس والكليات حتى في المعابد والأندية السياسية . فهلمَّ يا ناس الى العمل لهذا المشروع الجليل .

الكيمياء الصناعية وتاريخها

بدأت طريقة التركيب الكيمائي لشتى المواد ، أي تركيب مركب طبيعي في معمل كيماوي ، وذلك عند ما صنع Wohler ڤيلر (١) مادة البولينا (٢) فقضى على البون الصناعي الشاسع الذى كان يفصل بين الأشياء العضوية وغير العضوية ، أى بين المواد الكيماوية التي يتاح للناس صنعها ، وبين الأشياء التي لا يستطيع صنعها الا الطبيعة. فتيسر بعدئذ لعلم الكيمياء أن يقطع شوطاً كبيراً . إذ أصبح في مقدوره ، تركيب مادة ، فأخرى من مختلف المواد الصنعية . ولقد أحدثت هذه المواد الكيميائية العتيدة انقلاباً ملحوظاً في معيشتنا وعاداتنا . وأصبحت أساساً لصناعات كاملة من صناعاتنا العصرية بل قضت على غيرها من الصناعات، وزودتنا بسلسلة جديدة من مواد حديثة ، لا وجود لها على الاطلاق في منتجات الطبيعة .

ونشأت طريقة تركيب هذه الأشياء ، تركيباً كيميائياً في نصف القرن الماضي . وكان ذلك في نطاق واسع . ومازال حثيث الاتساع على الدوام . وهذا مما جعلنا نتوقع أن هاتيك المنتجات الكيميائية الجزيلة ، سوف تصير ذات يوم من ضروريات معيشتنا . وكان القصد الاول من هذه المصنوعات الكيميائية ، الحصول في أغلب الأحيان ، على مواد ضرورية ، أرخص من أخواتها التي تنتجها الطبيعة انتاجاً محدود المقادير . ثم تحويل الأشياء الطبيعية

---

(١) هو فريدريك ڤيلر ، عالم ألماني كيميائي ولد سنة ١٨٠٠ وتوفي سنة ١٨٨٢

(٢) البولينا — مادة مركبة شفافة ، لا لون لها ، سهلة الذوبان جداً . توجد غزيرة في بول الحيوانات الثديية ، وضئيلة في المرارة والكبد والعضلات والدم والسوائل الأخرى . وتتكون البولينا من تأكسد المركبات الازوتية في الجسم ، كما تركب صنعياً أيضاً ويطلق عليها اسم كاربامبد Carbamide أي ، اليوريا وهي مذيبة للحامض البوليك مدرة للبول

المتوافرة الموارد الى مواد أصلح منها ، مما يندر وجودها .

﴿ السماد الصناعي ﴾ — ومثال ذلك السماد اللازم لتسميد الأراضي الزراعية . لأن التربة الصالحة للاستغلال ، لا بدّ لها من الحصول على عنصر الأزوت « النيتروجين » اللازم لتقويتها حتى تستطيع انتاج محصول عقب آخر ، وإلاّ كان مصيرها البوار . وكان أعظم مصدر طبيعي للسماد الأزوتي ، مناجم بلاد تشيلي وحدها ، حيث يستخرج منها السماد عينه على شكل نيترات الصودا .

فحدث قبيل الحرب العالمية الأولى ، أن عالماً من علماء المانيا تسنّى له اختراع وسائل « تثبيت » الأزوت ، الذي توجد منه في الهواء ، مقادير غير محدودة . ثم تحسنت هذه الوسائل على مرّ الزمن .

وكان الباعث على بلوغها درجة قصوى من التحسين ، هو الحصار الذي ضرب وقتئذ على بلاد المانيا ، أو المصاعب التي قامت في سبيل النقل البحري في خلال تلك الحرب الضروس . فاستطاعت المصانع الألمانية قبل حلول سنة ١٩٣٩ اتمام صنع خمسة ملايين طن من السماد الأزوتي ، وذلك عن طريق التركيب الكيميائي . ومن ثمة أضحت هذه الكمية أنفع بكثير من السماد الطبيعي ، لتلك البلاد المحصورة . وصار الأزوت الذي يلتقط من الهواء ثم يعالج بالطريقة الكيميائية ، مصدراً لتسميد المزروعات اللازمة لغذاء ملايين من سكان المعمورة .

﴿ الكيمياء الصناعية نوعان ﴾ — والمنتجات الصناعية التي تؤلف بالتركيب الكيماوي نوعان . أولهما الصنف ذو المزايا الكيماوية والطبيعية التي تشبهها في المنتجات الطبيعية ، ومثالها السكر الصناعي الذي ينتج من لباب الخشب . وهذا عند ما تتم تنقيته يتعذر على المرء تمييزه من السكر الطبيعي ، وذلك من الوجهة الكيماوية . وثانيهما منتجات الكيمياء الصناعية التي تعدّ حقيقة « أعواضاً » للمنتجات الطبيعية . وهذه تتميز بخلوها من التشابه الكيماوي خلوّاً كليّاً أو جزئيّاً ، ثم باحتوائها على خواص طبيعية مشابهة أو باحداثها النتائج المنشودة من المواد الطبيعية . فالصبغات الصناعية مثلاً تغاير الطبيعية كيماويّاً ، وإن كانت تولد ألوانها عينها . والمطاط الصناعي لا يمتّ بصلة كيماوية الى عناصر

تركيب المطاط الطبيعي ، بيد أنه يحوي المزايا الطبيعية نفسها .

وقد وُصمت المصنوعات التي قوامها التأليف الكيماوي ، بوصمة التحقير ، ظنًّا من الناس أنها أحطُّ من زميلاتها الطبيعية . غير أن هذا الرأي في سبيل الزوال العاجل . والمستقبل كفيل بنقضه .

وكثيراً ما يقال لمستعمل المادة المصنوعة بالتركيب الكيماوي ، قولاً قد يكون صحيحاً الى حدٍّ ما . وفحواه إن هذه المادة التي يمكن التحكم فيها تحكماً تامًّا ، قد تكون أصلح من زميلتها التي تؤخذ على علاتها من الطبيعة . وكثيراً ما يصدق هذا القول . ولا سيما فيما يتعلق بالعقاقير الطبية . فقد يكون تقدير الجرعة العلاجية التي مصدرها الأعشاب الطبية تقديراً صحيحاً ، أصعب كثيراً من تحديد مثيلاتها المركبة كيماويًّا والحاوية خواصها النافعة نفسها ، وذلك لاختلاف أنواع الأعشاب الطبية ، بعضها عن بعض ، اختلافاً لا حصر له .

وستصبح أنفع طائفة من هذه المنتجات المصنوعة بالتركيب الكيماوي ، هي التي لم تشتهر بكونها تصنع بطريقة أخرى . بل التي تكون جديدة من كل الوجوه ، ذات خصائص ذاتية . إذ هي ستكون متقنة الصنع حقيقة . ويخترعها العالم الكيماوي طبقاً لحاجة طالبها .

﴿ العجائن الكيماوية ﴾ — ونجم عن اختراع العجائن الكيماوية ، نتيجة للبحث عن مادة صناعية تقوم مقام المواد الراتينجية الطبيعية (القلفونية أو صموغ الصنوبر) جعل المصانع العصرية تكاد تحل محل الطبيعة لإنتاج كل ما تحتاج إليه الشعوب . ولا تحسبنا مبالغين في القول إذا ما اعتقدنا أنها أحدثت تحسيناً أسمى مما كنا نتصوَّر . إذ أنتجت لنا مئات من المواد ، ذات خصائص لا يتسنَّى وجودها في أية مادة طبيعية .

ولا غرو فالمطاط الصناعي مثلاً قد أدرك الهدف الأساسي لاختراعه ، أي جعله عوضاً للمطاط الطبيعي . حينما كان هذا الأخير عسير المنال أو مستحيله . فغدت مركباته « الجديدة » ذات منافع ممتازة ، وأقل عيوباً من نتاج الطبيعة .

وكلما ظهر في السوق أي عوض جديد من الأعواض التي تحل محل المادة الطبيعية ، صار باعثاً على تأييد المذهب القائل بتوقع زوال النتاج الطبيعي يوماً ما . وقد تمَّ تحقيق هذه النبوءة في بضع حوادث .

﴿الصبغات الصناعية﴾ — ومثال ذلك إن صناعات الصبغات الطبيعية ، قد قضى عليها ، حالما انتشرت صبغات قطران الفحم الحجري . لأن هذه أرخص من تلك كثيراً ، وأشد منها تأثيراً . ونعني بها الصبغات التي تستخرج من قطران الفحم الحجري . والمعتاد في مثل هذه الحالة ، أن ذينك الصنفين يظلان قائمين ، ولكل منهما منافعه الخاصة .

﴿السليولوز﴾ — والسليولوز مثلاً مع كونه غير قابل للكسر ، لم يستطع اكتساح الزجاج . وكذلك سائر العجائن الكيماوية لم تقض على الخشب والمعادن . بل غدت تسدُّ كثيراً من المطالب الجديدة . وكانت اللفائف الشفافة الصحيَّة التي أصبحت تُلفُّ بها المواد الغذائية ، تعدُّ من الأشياء التي لم يحلم بها أهل القرن التاسع عشر . ذلك لأنهم كانوا في زمانهم لا يعرفون مادة طبيعية يستعملونها لهذا الغرض ، غير أمعاء الحيوانات التي كانت تستعمل أوتاراً للكمنجات وخيوطاً لصيد السمك أو أوعية لحشو السجقّ . وبما أن هذه المادة لا تصلح غطاءً لكل شيء ، لذلك اخترعت اللفائف العصرية من العجائن الكيماوية . تسدُّ المطالب الحديثة التي تمس اليها حاجات الناس . فقاعدة التركيب الكيماوية إذن هي (عند ما نريد التوسع في الشرح) انتاج أية مادة كانت نادرة الوجود ، انتاجاً يجعلها موفورة لدينا لتكفل استيفاء احتياجات طلابها المحتاجين اليها . ونعني بذلك المواد ، التي لا يتاح إحرازها بأسعار زهيدة من مصادرها الطبيعية .

﴿الفحم الحجري الصناعي﴾ — فأمكن العلماء تركيب فحم حجري بالتأليف الكيماوي ، إذ نبغ برجيوس(١) العالم الألماني الكيماوي المشهور (تغمده الله تعالى برحمته) فاستطاع قبل الحرب العالمية الأولى ، تركيب بضعة أرطال من الفحم الحجري الصناعي ، وذلك من الكربون والهواء والماء . أما الآن فلسنا نرى نفعاً عمليًّا من ذلك الاختراع . لأن في وسعنا استنباط الفحم الحجري الطبيعي من مناجمه في جوف الأرض ، بسهولة أكثر ونفقات أقل مما يقتضيهما صنعه على ذلك النمط .

---

(١) الكاتب — شرحت هذا الاختراع في حينه شرحاً وافياً وذلك في مقال مسهب نشر (بلا توقيع) في مقتطف مارس سنة ١٩٢٩ بعنوان — فحم حجري من الكربون (المألوف) من عجائب الكيمياء الصناعية .

وصُنْع الفحم الحجري، حتى في البلاد الخالية من مناجمه، لا يجدي نفعاً. لأن القوة المائية أو أية طاقة أخرى، يتطلبها هذا التركيب الكيماوي، يتسنى الانتفاع بها أكثر، إذا استعملت لانتاج وقود أصلح اقتصاديًّا من هذا الوقود المصنوع.

وفي الأعوام الحديثة أصبح مذهب اكتفاء كل دولة بمواردها الخاصَّة، يحدو كل أمة على انتاج منتجات رائمة تعوّضها مما عند غيرها من الشعوب المجاورة لها.

ومامن شك أن معظم هذا المذهب كان وما زال، باعثاً على مجاوزة القواعد الاقتصادية. ولكن مما ينبغي التسليم به، أن المال الذي أُنفق بسخاء في ذلك السبيل، قد أفضى الى مكتشفات أخرى نافعة. ومثال ذلك: إن طموح المانيا الى الاستغناء عن استيراد حاجاتها من البلاد الأجنبية ولاسيما البنزين والمطاط، قد كان سبباً لانشاء صناعات جديدة. ولا جدال في كون العالم قد انتفعوا انتفاعاً عظيماً بهاتيك المنتجات الجديدة.

ومن جهة أخرى نرى قصب السكر الذي يزرع في المسكونة يفوق حاجات سكانها. فلو أنشأنا مصانع ضخمة لاستخراج السكر من لباب الخشب بأصلح الطرق الفنية، لكلفنا هذا العمل أموالاً جزيلة لسنا في غنى عنها.

﴿ منسوجات الخيوط الصناعية ﴾ ومن التهم التي توجه الى النظام الاقتصادي عند البريطانيين، كونه لا يسمح باطلاق حرية تبادل السلع التي يتوافر انتاجها بمعاونة الوسائل العلمية. على حين نشاهد المنسوجات التي تصنع بالتركيب الكيماوي قد غيَّرت العادات الاجتماعية إذ يسرت للعامة ارتداء ملابس من صنف كان يستحيل عليهم الظفر به من الخيوط الطبيعية فحسب.

نعم إن الحرير المصنوع كيماويًّا لا يحتوي على صفات الحرير الطبيعي جميعها. ولكنه يشبهه شبهاً تامًّا يجعله يروق ملايين من الناس الذين لم يستطيعوا لبس الحرير الطبيعي لفداحة أسعاره. ولا جرم أنه سيظهر في السوق عما قريب، منسوجات صناعية جديدة، مشتقة من الفحم الحجري أو الزيت المعدني، وربما من الكربيد(١) أيضاً. ونعني بها، المادة الكيماوية النافعة جدًّا التي تؤلف من فحم الكوك وحجر الجير، بمساعدة طاقة عظيمة.

---

(١) الكربيد — مركب من الكربون وعنصر آخر.

وقوام التأليف الكيماوي الواسع النطاق ، هو زهادة أسعار المواد الكيماوية الأصلية التي تدخل فيه ، فضلاً عن توافرها . ولا غرو فان أكثر من ٩٩ ٪ من المواد العالمية ، تؤلف من الكربون والنيتروجين والهيدروجين والاوكسيجين . وهذه العناصر الأربعة يمكننا الحصول على مقادير منها غير محدودة ، وذلك من الفحم الحجري والهواء والماء . ومن ثمة أصبح التأليف الكيماوي الذي يؤلف من هاتيك العناصر ، لا نهاية له يقف عندها .

ولا مراء في كون العالم الذي يباشر هذا التأليف الكيماوي يشبه ، طفلاً لديه صندوق مملوء بالطوب ، فيبني به مباني لا حدّ لها ، مختلفة النماذج . والطوب هو الذرات . غير أنه عند ما يبني ، لا يخبط خبط عشواء . بل يجب عليه أن يدرك أن الذرات التي يضم بعضها الى بعض في حلقة واحدة بأية وسيلة كانت تروقه ، لا بدّ أن تنتج نوعاً خاصًّا من المادة . فيواصل عمله هذا واثقاً كل الوثوق مما يقوم به ، حتى يؤلف نسيجاً من الجزيئات التي ركبها من تلك الذرات .

﴿ الوسطاء الكيماوية ﴾ — ولاختراع معظم الحلقات المشار اليها ، لا بد للعالم الكيماوي حينئذٍ من استخدام الوسطاء الكيماوية أي المواد التي تظل « غير متغيرة ظاهريًّا » في نهاية التفاعل الكيماوي . بل هي المواد الضرورية التي تحدثه أو التي تعجل نتيجته المنشودة تعجيلاً عظيماً .

وقد عرف العلماء في الأعوام الحديثة كثيراً من هاتيك الوسطاء . وهذا مما يجعل التأليف الكيماوي يستفيد من الحلقات الميسور عملها بهذه الطريقة . وهي التي كانت مستحيلة في الأزمان السالفة ، فضلاً عن انتفاعه بالطرق المختصرة التي تهون شتى الصناعات . ولا يبعد أن تظهر وسطاء كيماوية جديدة تساعد على الصوغ الأصلي للبنات الكربون والنتروجين والهيدروجين والاكسيجين صياغة تمكن العلماء من الوصول الى جزيئات أكثر تعقيداً . إذ الموقف الحالي إنما يتيح للعالم الكيماوي غالباً تركيب أية مادة يحتاج اليها ، تركيباً كيماويًّا . وكثيراً ما يطلب اليه صوغ مادة وهمية ، ذات مزايا طبيعية أو كيماوية معينة . فلا يلبث أن يقصد الى معمله الكيماوي حيث يصوغ تلك المادة المطلوبة التي تسد الحاجة . وسواء استطاع صوغها بنفقات تبرر الانتفاع بها أو تحظره ، فهذا موضوع آخر

بلا ريب . بيد أنه يحدث في أغلب الأحوال أن تكون المادة الأولى التي تصاغ كيماويًا غير مستوفاة الشروط اللازمة . فهذه يتم تحسينها على مرّ الزمن ، حتى تصير ملائمة للمستوى التجاري .

لذلك يرى العلماء أن واجبهم في هذا العصر العلمي الذهبي ، يقضي عليهم من حين الى آخر ، بتناول المواد المخزونة ، من مصادرها الأصلية الطبيعية . ثم تحديد وسيلة الانتفاع بها . فينبغي لهم مثلاً تقدير ما يحتاج اليه السكان ، سنويًا من ملايين الياردات من المنسوجات . ثم تحديد ما يتسنى صنعه من ذلك القدر ، من القطن والصوف والكتّان . وعليهم حينئذٍ انتاج باقي (المقطوعية) من لباب الخشب والفحم الحجري أو من أية مادة كانت متوافرة لديهم ، صالحة للعمل ، ملائمة للزمن . ومن واجباتهم أيضاً تقدير كميات الزيوت المعدنية التي يستهلكها العالم سنويًا . وكذا تحديد المنتجات التي تستخرج منها لسدّ احتياجاتهم . ووقتئذٍ يتيسر لهم استخراج بعض ذلك الزيت المعدني من جوف الارض . أما سائره فلا بأس بصنعه بالتأليف الكيماوي . وهذا المذهب الخاص بالتموين ، لا يعدّ خياليًا ، بل هو الواجب الذي لا بدّ من اتباعه في المستقبل البعيد .

﴿ الكيمياء الصناعية في المانيا ﴾ — وتحسب المانيا في هذا الموضوع ، ذات حالة خاصة . ذلك لأن إحدى الوسائل التي اقترحت ضدها ، لمنعها من شن الحرب على جاراتها ، مدى أعوام كثيرة في مستقبل الزمن ، كانت السيطرة على المواد التي تستوردها بغية الاستعداد الحربي أو بالأحرى منع استيرادها هاتيك المواد على الاطلاق .

ويرى العالم الانكليزي الذي نقلنا عنه هذا البحث ، « إن الضرر المحتمل حدوثه ، من هذه المقترحات (التي قدمها لفيف من قومه من ذوي المصالح بغير تفكير) ومن دون إدراك مخترعات العلم الحديث في المستقبل ، حق الادراك قد يكون شعور البريطانيين شعوراً مزيفاً بالطمأنينة » .

﴿ البنزين والمطاط الصناعيان ﴾ — وحسبنا دليلاً ، عدم اكتراث البريطانيين وغيرهم من الدول عندما اخترع الألمان ، البنزين والمطاط الصناعيين ، وذلك في سنتي ١٩٣٦ و ١٩٣٧ .

وبناءً على ما تقدم ستكون نتيجة هذه السياسة الخرقاء تشجيع علماء المانيا ، على مباشرة

مباحث جديدة . ومن المحقق عند العلماء أنه لا توجد أية مادة طبيعية واحدة يستحيل اختراع مادة صناعية لتحل محلها عندما تمس الحاجة أو تدعو القوة القاهرة الى ذلك . إلا اذا استطعنا أن ننكر أن الفحم الحجري والحديد وغيرهما ليست من المواد الضرورية لأية دولة من الدول ، غير الزراعية المحضة . وليس في وسعنا الوثوق بأن علماء الكيمياء سيحجمون عن اختراع وسائل أصلح من المعروفة وأنفع اقتصادياً مما سنحظرها على الالمان.

والذي نعرفه أن علماء الكيمياء في المانيا قد أثبتوا نجاحهم نجاحاً رائعاً في انتاج النيتروجين والمنسوجات الصناعة في ابان الحرب العالمية الاولى من سنة ١٩١٤ الى ١٩١٨. ثم اخترعوا المطاط والبنزين الصناعيين وغيرهما من المواد المصوغة كيماوياً وهي التي استعملت في الحرب العالمية الثانية . وغني عن البيان أن هذا عمل صالح قد يستفيد منه العالم أجمع .

وسوف يرى الخلق في مستقبل الأيام ، صبغات جديدة تخترع ، ويلبسون فانيلات تصنع من النباتات المتحجرة المستعملة وقوداً . ويتخذون من بزور عبّاد الشمس فليناً ، ويشربون جعة ـ بيرة ـ معبأة في أقراص دوائية . كما يستعملون جلداً شفافاً ، ويستخرجون من جوز البلوط كحولاً لتسيير السيارات ، ومن النباتات ، حساء ، ومن الفحم الحجري لحماً وشكولاطة ، ومن الفول ، بوية . وسيجيء يوم تستعمل فيه المواد المصنوعة بالتأليف الكيماوي ، كغيرها من مصنوعات الناس . وحينئذٍ يستغنون عن الغابات الطبيعية والمعادن البسيطة ، ليتخذ منها سكان جزائر بحر الصين الجنوبي أقراطاً وغيرها من أنواع الزينة والتحف » .

ملاحظة : وفي الختام يجدر بي لفت أنظار حضرات القراء الى شتى المباحث التي كتبتها ونشرتها في أجزاء المقتطف السابقة في موضوع الكيمياء الصناعية . وأخصها الأجزاء الآتي بيانها : مقتطف مايو سنة ١٩٣٠ (مقال بلا توقيع) ومايو سنة ١٩٤٠ ومقتطف يونيه سنة ١٩٣٧ ويوليو سنة ١٩٤٠ ومارس سنة ١٩٤١ ومارس سنة ١٩٤٢ ويوليو سنة ١٩٤٢ وأغسطس سنة ١٩٤٢ ويناير سنة ١٩٤٣ ومايو سنة ١٩٤٣ ويوليو سنة ١٩٤٣ وأغسطس ١٩٤٤ وديسمبر سنة ١٩٤٤ ويوليو سنة ١٩٤٥ وفبراير سنة ١٩٤٨.

عوض جندي

فهرس الجزء الرابع

من المجلد السادس عشر بعد المئة

٢٠٧ الچن أو الچين
٢٠٨ مصنع التطور : للسير أرثر كيث
٢١٦ صحفي بين الأجرام
٢٢٣ أسباب اضطراب العالم والجنون الاجتماعي
٢٣١ برلمان السيدات : السيدة روز (أنطون) حداد
٢٣٧ العناصر الأولى من الخدمات الاجتماعية : الأستاذ وصفي زكريا
٢٤١ العلاج بهرمون (انش)
٢٤٢ من ذكريات الصبي (قصيدة) ن . ح .
٢٤٣ القنبلة الهدروجينية : ن ح
٢٤٦ ضيف من المريخ
٢٤٧ العزلة في رأس الجبل — الديمقراطية
٢٥٤ ماذا كان في العزلة
٢٥٥ منابع النيل : أنطون زكري
٢٦٣ لغة عالمية ضرورة لاتحاد الأمم
٢٦٨ الكيمياء الصناعية : عوض جندي

في مقتطف مايو

بريد العقل العصبي والفلسفة التصورية
منابع النيل خطاب كاهن مصري
التسارع ردف الجاذبية

لكل قوم موسيقاه
سر الوراثة الطبيعية
العزلة في رأس الجبل: الحرية
بورصة الحب : قصة

اللحق - الديموقراطية : مسيرها ومصيرها